مجلة شهرية

عدد: 73 :Issue No
أيلول 2013 September

نـــــور يسوع المسيح المسيح الـــرب XPIΣTOY
Φ Ω Σ

جمعية نور المسيح ، رقم: ٥٨٠٣٢٧٩١٤ ، ص.ب. ٦١٩ قانا الجليل ١٦٩٣٠
Nour Almasih / Light of Christ, Registered Society No. 580327914 - P.O.Box 619 , Cana of Galilee 16930, website:www.lightchrist.org

رفع الصليب الكريم المحيي

لصليبك يا ربّ نسجد

ولقيامتك المقدسة نمجد

هو سيحملك

خرج بعض علماء النبات إلى جبال الألب، يبحثون عن أنواع نادرة من الزهور ، فوجدوا زهرة نادرة جداً من الزهور وجميلة ، لكنها تنبت خلال صخرة منحدرة جداً ، لا يمكن الوصول إليها ، إلا بربط شخص في حبلٍ ، لأن تحت الصخرة هاوية عميقة جداً.

سمعهم صبي صغير يتناقشون في أمر الزهرة، وسوف يدفعون خمسة دولارات (وهو مبلغ كبير في تلك الآونة) لمن يقطفها لهم؛ وأنّ معهم حبل سيمسكون طرفه ويربطون طرفه الآخر بجسم مَن يقطفها ، لكي يسحبوه في حالة الخطر.

تطلّع الصبي إلى الهوّة العميقة قليلاً ثمّ قال لهم: (انتظروا دقيقة، فسأعود فوراً).

وقف الكلّ مندهشين ، يتساءلون: ماذا يفعل هذا الصبي؟ بعد لحظات عاد الصبي ومعه شيخ ثم قال لهم: (إنّي سأتسلّق الصخرة ، وأُحضر لكم الزهرة إذا أمسك هذا الرَجل بالحبل. إنّه أبي).

صديقي العزيز:

إنّ طريقنا إلى السماء ليس أرضاً سهلة بل ممتلىء بالقمم الصخرية. فنحن نسير في الطريق الكرب المؤدّي إلى الحياة الأبديّة. فلابدّ من تسلّق الصخور وَتَخَطّي العقبات التي تعترض سبيل رحلتنا إلى اللّه، فإذا لم تجد طريقك في الأرض السهلة، فاقتحم القمم وتسلّق الصخور.

لا تَخَف ما دام حبل حياتك وخيط وجودك في يد أبيك السماوي. كُن مطمئناً.

ثق أنّك لن تهوي إلى العمق.

إنّه سيسحبك في اللحظة الحاسمة بقلبه الأبوي. سيحملك على الأذرع الأبديّة.

سيحملك على أجنحة النسور ويأتِ بك إليه ولا يدع رجلك تصدم بحجر.

وإن كنتَ بعيداً عن أبيك في كورة بعيدة ، فلا تيأس، هو في انتظارك. فقط تَقدّم نَحوه؛ سيضمّك في صدره الحنون وأحضانه الأبويّة. سيحملك على منكبيه فَرحاً. إنّه كانَ ومازالَ وسيَظلّ يبحث عن كل درهمٍ مفقودٍ حتى يجده.

يا ربّ ...

أنا إبنك وإن كنت قد بعدتُ عنك. وأنا من قطيعك وإن كنت قد ضللت. وأنا درهمك وإن كنت لم أكن موجوداً في كيسك.

من صلوات القديس باسيليوس الكبير الخشوعيّة

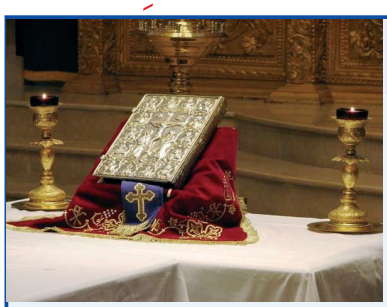

أيها السيِّد يسوع المسيح ربنا، الدائم النور والإشعاع ابن الآب ، أنت الذي ظهرت بالجسد. وأنرتَ ظلمة جهلنا، وناديت على كل البشر ليدركوا بعمق عظمتك التي لا يُنطَق بها ، طَهِّر سلوكنا الشرّير الذي يشتهي الماديات بنار قداستك الغير مدركة أطفىء السِّهام النّاريّة التي يطلقها الشيطان. إسطع بنورك داخل قلوبنا لمعرفتك الحقيقيّة ، وافتح عيون أذهاننا حتى نفهم تعاليم إنجيلك المقدّس ونعرف أعمالك العظيمة. إزرع بداخلنا مخافة وصاياك المقدسة حتى نُلغي كل مشتهيات الجسد ، ونعيش حياة روحية ، نفكّر ونعمل كل ما يسرّك ، لأنّك أنت المُمجد الآن وإلى دهر الدهور آمين.

محتويات العدد

2 هو سيحملك
2 من صلوات القديس باسيليوس الكبير
3 كلمة غبطة البطريرك كيريوس كيريوس ثيوفيلس الثالث
4 أن تحبّوا بعضكم بعضا
5 إبتداء الأندكتي بدء السنة الجديدة
6 ميلاد سيّدتنا والدة الإله الدائمة البتوليّة مريم
9 المنجمون ومصيرهم
9 من مصطلحات الطقس الرومي البيزنطي
10 قطع رأس السابق
12 رفع الصليب الكريم
14 النباتات في الكتاب المقدس
16 العظات الثمانية عشرة للقديس كيرللس الأورشليمي
18 الإفخارستيا
19 الأرثوذكسيّة قانون إيمان لكل العصور
20 المزامير القديس باسيليوس
22 المرأة بانية المجتمع
23 العهد القديم (٥٧)

توزع هذه المجلة مجاناً

جمعية نور المسيح : كفركنا - الشارع الرئيسي (الهي الجنوبي) ص. ب. ٦١٩ تلفاكس ٠٤/٦٥١٧٥٩١

تقبل التبرعات مشكورة في بنك العمال - الناصرة حساب رقم : 12-726-111122

e-mail: light_christ@yahoo.com

ترتيب وتحضير : هشام ميخائيل خشيبون - سكرتير جمعية نور المسيح

كلمة صاحب الغبطة بطريرك المدينة المقدسة أورشليم

كيريوس كيريوس ثيوفيلوس الثالث

بمناسبة تجلي ربنا وإلهنا يسوع المسيح

«وبعد ستّة أيام أخذ يسوع بطرس ويعقوب ويوحنا أخاهُ وصَعِدَ بهم إلى جبل عالٍ منفردين، وتغيّرت هيئته قدّامهم ، وأضاء وجهه كالشمس وصارت ثيابه بيضاء كالنّور» (متى١٧:٢-١) ، كما شهد بذلك الإنجيليين .

أيها الأخوة الأحباء.
أيها المؤمنون ، والزوّار الحسنيّ العبادة .

كنيسة المسيح المقدّسة تحتفل اليوم في حدث هذا العيد الحقيقي البَهِج ، الذي سطّره التاريخ بأحرف من ذهب كونه حقيقة تاريخية ثابتة وأصيلةً ، تمّت في هذا المكان المقدس المميّز والفريد بنوعه . إذ على قمة هذا الجبل الشهير والمدعوّ بطور تابور ،. تجلّى ربّنا وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح.

«تجلَّى أمام تلاميذه الأطهار ، وأضاء وجهه كالشمس ، وصارت ثيابه بيضاء كالنور» (متى١٧:٢).

وعن تجلّي الربّ على جبل تابور يقول القديس يوحنا الدمشقي: « تجلّى أمام تلاميذه ذاك الذي دائماً ممجّداً مع ذات ونفس المجد، ويلمع أيضاً مع برق اللاهوت ... تجلّى الربّ دون أن يتّخذ ما لم يكن لديه ، ودون أن يتغيّر إلى ما لم يكن ، بل كاشفاً لتلاميذه عمّا كان موجوداً بعد أن فتح أعيُنهم وبعد أن جعلهم يبصرون وهم عميان. أرأيتم كيف أنّ العيون بحسب الطبيعة هي مطفأة بالنسبة إلى ذلك النور ؟ لهذا لم يكن ذلك النور محسوساً ولا كان النّاظرون يُشاهدونه بأعينهم الحسيّة ، بل بأعينٍ نسجتها قوّة الرّوح القدس».

يقول القديس غريغوريوس پالاماس عن المسيح ، تجلَّى ليس لكي يقتني شيئاً جديداً ، لم يكن لديه سابقاً ، ولم يتغيّر لشيء لم يَكُنْهُ ، لكنه بالطريقة التي أظهرها لتلاميذه ، فتح أعينهم لكي يبصروه كما كان هو ، بهذا فقد حوّل بصرهم من رؤية غير واضحة إلى رؤية جليّة .

بكلام آخر أيها الأحباء ؛ وبحسب القديس غريغوريوس پلاماس ،فالسيد المسيح لم يكشف ضيائه المكنون فيه ، إنما ضياء الطبيعة الإلهيّة كان محجوباً تحت ستار البشرية الإنسانيّة ، لذلك نور التجلّي هو ميزة اللاهوت ، أي النور غير المخلوق .

إن عين الإنسان الجسديّة هي عمياء بالنسبة للنور غير المخلوق ؛ وهذا النور هو نور غير ملموس ولا يخضع للحواس البشريّة فالتلاميذ الذين أبصروه ، لم يبصروه بعيونهم الجسديّة ، لكن أبصروه بالعيون التي كانت مهيأة من ذي قَبل ، بشكل موافق وملائم بنعمة الروح القدس. فبعدما إرتَقى بصرُهم بنعمة الروح القدس ،أُهِّلوا لهذه السمّة الإلهيّة ليعاينوا مجد اللاهوت .

إن الطبيعة البشريّة ـ التي أتخذها المسيح بالتجسّد ـ أصبحت مُشْتَرَكَةً باللاهوت ، فخاصيّة التغيير حيثُ شعّ نور اللاهوت في التجلّي ، لم تحصل بشكل فجائيّ على جبل تابور ،فقد تمّ الإتحاد بين اللاهوت والنّاسوت منذ التجسد الإلهي في أحشاء العذراء مريم بأخذه للطبيعة البشريّة من دمائها النقيّة، ففي هذا الإتحاد ألّه المسيح الطبيعة البشرية المتحدة بلاهوته في نفس إقنوم الكلمة.

ليتنا نعاين ما يقوله مرنّم الكنيسة:
«إنّ المرئيَّ إنسانٌ وأمَّا الخَفيَّ فإلهٌ،فالمسيح يصعد على جبل تابور لكي يكشف عن شعاع لاهوته، بتألّق أشعة مجده التي تفوق نور الشمس بهاءً».

هذا الكَشف أو ظهور نور مجد اللاهوت، ما هو إلاّ النور الإلهيّ والسرمدي غير المخلوق. نور المجد الذي أظهره المسيح لتلاميذه كما يقول المرنّم: «تجلّيت أيها المسيح الإله على الجبل، فأظهرت مجدك لتلاميذك حسبما استطاعوا». أي منحهم نعمة روحه القدوس ، هذا هو بالتدقيق نور المجد لكنيستنا المقدسة ، الأرثوذكسيّة (بإيمانها المستقيم الرأي) وهو أيضاً غنى الملكوت الأبدي ..«أنا هو نور العالم ، من يتبعني فلا يمشي في الظلام بل يكون له نور الحياة» (يو٨:١٢).

نحن المتواضعون وغيرُ المستحقين ، **أصبحنا شركاءَ لنور الحياة؛ هذا النور الأبدي للاهوت المسيح المكنوز في سرّ مناولة الجسد والدم الإفخارستي لربنا وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح.**

اليوم في جبل تابور أيها الأخوة الأحباء كما يقول المرنّم:

«إنّنا بنورك أيها الكلمة النور الذي لا يستحيل ، المولود من الآب النور الغير المولود. رأينا الآب النور . والروح القدس النور الذي ينير الخليقة كلها».

لنطرح إذاً أيّها الإخوة أعمال الظّلمة ، ونُتَمّم أعمال النور ، لنصيرَ بني النهار. ولنتقدّم من ثمّ إلى الجبل ، حيث اشرقَ المسيح ، لنرى الأمور الحاصلة هناك. بل ، كوننا قد صرنا مستحقّين لنهار كهذا، فليَصعدنا في الوقت المناسب كلمة اللّه نفسه.والآن، أرجوكم ان ارفعوا أعين الذهن نحو نور جسدكم ليكون على صورة مجد الربّ. (في٣:٢١) ، هذا الذي أشرقَ وجهه اليوم على الجبل مثلَ الشمس.

نتضرّع إلى ربّنا وإلهنا يسوع المسيح ومع مرنّم كنيستنا نقول:

أيها المسيح الإله. يا من تجلّى على جبل ثابور. وأرى تلاميذهُ مجد لاهوته. أنرنا نحن أيضاً بنور معرفتك. وأهدِنا في سبيل وصاياك، بما أنّك وحدك الصالح والمحبّ البشر.

وكل عام وانتم بخير

الداعي بالرب
البطريرك ثيوفيلوس الثالث
بطريرك المدينة المقدسة أورشليم

أن تحبّوا بعضكم بعضاً. كما أحببتكم أنا تحبّون أنتم أيضاً بعضكم بعضاً

قصة قيلت عن جندي كان راجعاً من الحرب إلى منزله، فقد اتصل تليفونياً بوالديه من سان فرانسيسكو:

ـ يا أمي ويا أبي، أنا عائد توّاً من الميدان إلى البيت، ولكن لي طلب أسألكم أن تُلبُّوه. لديَّ صديق عزيز أريده أن يأتي معي إلى البيت.

ـ بالتأكيد، نحن نحب استقباله.

ـ هناك أمرٌ ما لابد من معرفته وهو أنه أُصيب بشدة في القتال. فقد داس على لغم أرضي وفَقَدَ ذراعه وساقه. إنه ليس لديه أي مكان آخر للذهاب إليه، وأريد له أن يأتي ليعيش معنا.

وبعد تردُّد أجاب الأب: ـ إنه لأمرٌ مؤسف سماع ذلك، يا بُنيَّ. ربما يمكننا مساعدته في إيجاد مكان آخر يعيش فيه.

ـ لا، يـا أمي ويـا أبي، أنا أريد له أن يعيش معنا.

ـ يا ابني أنت لا تعرف ما تطلبه. شخصٌ مثل هذا وبهذه الإعاقة سيكون سبب عبء رهيب علينا. لدينا حياتنا الخاصة للعيش بهناء، ونحن لا يمكن أن نسمح لشيء من هذا القبيل أن يتداخل في حياتنا. أعتقد أن عليك أن تأتي إلى البيت وتنسى هذا الرجل. ولابد أنه سوف يجد وسيلة للعيش من تلقاء نفسه.

وعند هذه الكلمة، أغلق الابن سمّاعة الهاتف، ولم يسمع الوالدان شيئاً من ابنهما أكثر من هذا. إلا أنهما وبعد بضعة أيام، تلقّيا اتصالاً هاتفياً من مركز الشرطة في سان فرانسيسكو:

لقد توفّي ابنكما بعد سقوطه من فوق مبنى. واعتقاد الشرطة أن ذلك كان بمثابة انتحار. وسافر الأبوان المنكوبان المكلومان بالطائرة إلى سان فرانسيسكو، ونُقلا بمعرفة الشرطة إلى مشرحة المدينة للتعرُّف على جثة ابنهما. وتعرَّفا على ابنهما. ولكن يا للرعب! فقد اكتشفا ويا للحزن، ما لم يَقُل لهما أحد من قبل، أن ابنهما بذراع واحد وساق واحدة!

«ربما خجل الابن أن يَصدم أباه وأُمه بحقيقة ما حدث له، فذَكَرَ ما حدث له بهذه الصورة.»

الأب والأم في هذه القصة هما مثل الكثيرين منا. فمن السهل علينا أن نحب مَنْ هم حسان المظهر أو مُمتعون في علاقتهم معنا ليكونوا معنا ويحيطوا بنا، ولكننا لا نحب الناس الذين قد يُسبِّبون إزعاجاً لنا أو نشعر تجاههم بعدم الارتياح. أما الناس ذوو الصحة الجيدة أو الوسامة والملابس النظيفة فلن نبقى بعيداً عنهم. أما نحن، فالحمد للّه، ليس هناك مَن يعاملوننا بهذه الطريقة!

«ولكن ما يزال هناك شخص يحبنا الحب غير المشروط، ويُرحِّب بنا في الأسرة الكبيرة أي الكنيسة إلى الأبد، بغض النظر عن كيف أفسدنا حياتنا بالأنانية وباحتقارنا لَمن نظن أنهم أدنى منا!»

وهذه الليلة، وقبل أن تدسَّ نفسك تحت الغطاء لتستدفئ، قف وارفع صلاة إلى اللّه أن يُعطيك قوة أنت في احتياج إليها لكي تقبل الناس كما هم، وأن يُعيننا جميعاً لنكون أكثر تفهُّماً لأولئك الذين يختلفون عنا أو قد يُثيرون اشمئزازنا!!

«مَن أراد أن يكون فيكم عظيماً فليكن لكم خادماً، ومَن أراد أن يكون فيكم أولاً فليكن لكم عبداً، كما أنَّ ابن الإنسان لم يأت ليُخدَم بل ليَخدم، وليبذل نفسه فدية عن كثيرين» (مت٢٠:٢٦–٢٨).

«بما أنكم فعلتموه بأحد إخوتي هؤلاء الأصاغر، فبي فعلتم» (مت٢٥:٤٠).

«احملوا بعضكم أثقال بعض، وهكذا تمِّموا ناموس المسيح» (غل٦:٢).

«فالبسوا كمختاري اللّه القديسين المحبوبين أحشاء رأفات، ولُطفاً، وتواضعاً، ووداعة، وطول أناة، محتملين بعضكم بعضاً، ومُسامحين بعضكم بعضاً إنْ كان لأحد على أحد شكوى...» (كو٣:١٢–١٣).

ابتداء الإنديقتي ـ بدء السنة الجديدة

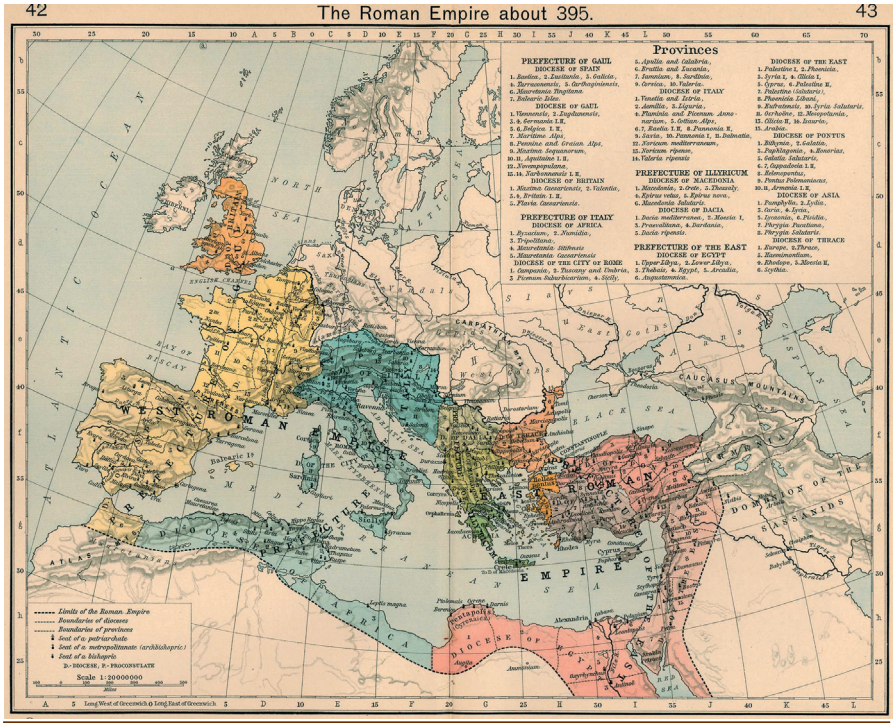

الأمبراطوريّة الروميّة المترامية الأطراف - سنة ٣٩٥ للمسيح

إن قياصرة رومية كانوا يُصدرون اوامر يلقون بها على رعاياهم لأجل نفقات الجنود وحفظها جزْيةً عامة توزَّع على جميع الولايات فتدفع في كل سنة وكان اصدار هذه الاوامر يكرَّر كل خمسة عشرة سنة مرَّة لأنّ عساكر الرومانيين كانوا مديونين ان يخدموا في العسكرية مدّة خمس عشرة سنة ثم بعد انقضاء هذه المدة بتمامها كانوا يجدّدون الامر ثانيةً بتغيير ما لما كان ممكناً ان يحدث في هذه المدة من تغير الاحوال مُلقين عليهم جزيةً غير الاولى يجب دفعها على التتابع في مدة خمس عشرة سنة تامة ثمّ يجدّدون ثالثةً وهلمَّ جراً.

فالامر القيصري الذي كانت تُلقَى به هذه الجزية قبل الشتاء بمدّة وجيزة كان يُسمّى انديكتشيو (Indictio) اي حدّاً او اعلاماً عن الجزية؛ وأما ملوك القسطنطينية فترجموا هذه اللفظة الى اللغة اليونانية بلفظة انديكتيون (Ινδικτιών) وحفظوا استعمالها (كما حفظنا استعمال لفظة الانديقتي في العربية) إلاَّ انّهم كانوا يستعملون احياناً عوضاً عنها كلمة ابينَمسس (Επινέμησις) التي معناها توزيع.

ثم اول من ادخل استعمال الانديقتيات عند الملوك المذكورين هو بحسب الرأي الأعمّ الملك قسطنطين الكبير سنة ٣١٢ للمسيح ، وذلك حينما رأى علامة الصليب في السماء وغلب مكسنتيوس ، فَجُعِلَ قيصراً على الغرب (في ٢١ من شهر أيّار). إلاّ ان البعض يرون أن مبدأ الانديقتيات اقدم عهداً من الملك قسطنطين بكثير (ولربما كان رأيهم أصحَّ) فإنّهم يرون انها اخذت مبدأها على عهد أوغسطس قيصر في السنة الثالثة قبل المسيح ، مستدلين على ذلك بتاريخ ختم بابوي (Bullam- Σφραγίς) اي أمر بابوي صدر سنة ٧٨١ للمسيح وهو محرّر هكذا: (anno 4 Indictions LIII) أي في السنة الرابعة من الانديقتي الثالث والخمسين ، فنستخرج منه السنة المذكورة التي يرونها مبدأ للانديقتيات ، فإنّهُ اذا ضُرِبَ عدد ٥٢ انديقتيّاً في عدد ١٥ سنة التي هي مدار الانديقتيات وأُضيف اليها السنوات الاربع المحسوبة من الانديقتي الثالث والخمسين ، يحصل عدد ٧٨٤ سنة ، منها ٧٨١ سنة للمسيح تاريخ صدور الامر المذكور والثلاث السنوات الباقية تُحسب قبل المسيح.

ثمّ انواع الانديقتي ثلاثة:

الأوّل: هو الذي أُدخلَ استعماله في الغرب ، وهو يدعى عاهليّاً او قيصريّاً او قسطنطينيّاً ويبتدىء من ٢٤ شهر أيلول.

الثاني: وهو الذي يدعى بابويّاً ويبتدىء من غرَّة شهر كانون الثاني.

والثالث: هو الخاص بالقسطنطينيّة الذي تسلمت استعمالهُ بطاركتها من بعد انقضاء مملكة الشرق ، وهم يكتبونهُ بخط ايديهم في الاوامر التي يصدرونها غير جارين على متابعة حساب مدة الخمس عشرة سنة التي هي مدار الانديقتيات وهو يبتدىء من اول شهر أيلول بإقامة إحتفال كنسي، فهذا هو مبدأُ الانديقتي وسبب دوَرانه في مدة خمس عشرة سنة.

ثمّ لما كان بعد اقتطاف الاثمار وجمعها في المخازن تحصل السنة كلها على نوع ما ، ومن ذلك الحين فصاعداً نبتدىءُ ببذر الأرض ثانيةً لاجل الحصول على غلات جديدة للمستقبل ، اعتبر شهر أيلول بدءَ سنة جديدة ؛ والكنيسة تطلب من اللّه معيدة في هذا اليوم اعتدال الاهوية ونزول الأمطار في الاوقات الملائمة وخصب الأرض وما اشبه ذلك.

ثمّ أن مجمع اليهود أيضاً في العهد القديم كان يعيّد في هذا اليوم العيد المسمّى بعيد الأبواق مقدّماً للّه تسابيح شكر، كما يشهد لنا الكتاب المقدس (سفر الاحبار ٢٣: ٢٤ و٢٥ ؛ وسفر العدد ٢٩ : ١و٢).

ويوجد سبب ثالث لهذا العيد وهو تذكار دخول يسوع الى مجمع اليهود في الناصرة حينما دُفع إليه سفر اشعياء النبي ليقرأ به ففتحه ووجد الموضع الذي كان مكتوباً فيه: «إنَّ روح الربّ علَيَّ ولأجل ذلك مَسَحني ... الخ» (لوقا ٤: ١٦–١٨). ■

ميلاد سيّدتنا والدة الإله الدائمة البتولية مريم

ان الله المثلث الأقانيم وبحسب النبوّات، إختار العذراء مريم من بين نساء العالم، لتتميم سرّ التدبير الإلهي، لخلاص البشريّة.

تبتدئ السنة الطقسية أو السنة الكنسية في الطقس البيزنطي في أول أيلول، وننتهي في آخر آب. وهي بدء الأنديقتي أي الحلقة التي تتألف من خمس عشرة سنة أولها **سنة ٣١٢** تاريخ انتصار **قسطنطين الكبير** على خصمه **مكسنتيوس**. وتحوي السنة الطقسية على مدارها الأعياد والصلوات التي تذكّرنا بحياة المخلص والقديسين. إن أول أعياد القديسين الكبرى في بدء السنة الطقسية هو عيد ميلاد سيدتنا والدة الإله الفائقة القداسة والدائمة البتولية مريم في ٨ أيلول.

١) قصة ميلاد العذراء مريم:

ان ميلاد العذراء مريم وتقدمتها إلى الهيكل وأكثر تفاصيل حياتها لا يستند إلى معطيات الكتاب المقدس ولا إلى أية حجّة تاريخية مقبولة علمياً. إن اسم والديها نفسه، «يواكيم وحنّة»، المعروف في التقليد المسيحي، لا أصل له إلاّ في الأناجيل المنحولة أو المزوّرة والتي تحوي رغم ذلك تقاليد كثيرة حقيقيّة إنما مزخرفة. إن أقدم الأناجيل المنحولة التي تتحدّث عن العذراء مريم إنجيل يعقوب الذي يرتقي إلى النصف الأول من القرن الثاني للميلاد ، وقد ورد فيه تقليد قديم، ان يواكيم وحنّة، إذ لم يكن لهما ولد تراءى لهما ملاك الرب وبشَّرهما بمولد ابنة لهما يتحدّث عنها الناس «في الأرض كلها». دونك أيها القارئ هذا التقليد كما ورد في إنجيل يعقوب المنحول. فنجتزئ من الفصلين الرابع والخامس ما يتعلق بموضوعنا:

«وإذا بملاك الرب تراءى لها وقال: حنّة! حنّة! لقد سمع الرب تنهّدك. إنك ستحبلين وتلدين، وسيتحدث (الناس) بالمولود منك في الأرض كلها. فأجابت حنّة: والرب الحيّ الشاهد على أقوالي: إذا أتيت بابن أو ابنة، سأُقدّسه للرب إلهي، ليخدمه جميع أيام حياته! عندئذ اقترب منها ملاكان يقولان: ها إن يواكيم رجلك يأتي نحوك مع قطعانه، لأن ملاك الرب قد ذهب إليه وقال له: يواكيم، يواكيم، ان الرب سمع شكواك. اذهب من ههنا فها ان امرأتك حنّة ستحبل في أحشائها... فذهب يواكيم... وإذا بيواكيم يصل مع قطعانه، فرأته حنّة وهي واقفة على عتبة البيت، فركضت إليه وتعلّقت بعنقه قائلة: الآن علمت أن الرب قد غمرني ببركاته، لأني كنت كأرملة ولم يعد كذلك وكنت عاقراً، وها إنَّ أحشائي ستخصب. وكان المساء الأول الذي استراح فيه يواكيم في داره..ثم تمّت أشهر حنّة، وفي الشهر التاسع ولدت. فسألت المولّدة: لمن أعطيت النور؟ أجابت هذه: إنها بنت. وقالت حنّة: لقد تمجّدتْ في هذا أليوم نفسي وأضجعت الولد. ولما تمّت الأيام المعتادة، قامت واغتسلت وأعطت الثدي للولد وسمّتها مريم» (Daniel-Rops, ouvrage cite, pp.134 et 135.).

لقد تمّ الإعلان الإلهي للقديسين يواكيم وحنة في منطقة وادي القلط، حسب تقليد الكنيسة الشريف ،لذلك كرسي الأسقف في كنيسة العذراء في دير القديس جوارجيوس الخوزيفي ، هو الكرسي الوحيد في الكنائس الأرثوذكسيّة في العالم، حيث وضعت فيه أيقونة والدة الإله مكان أيقونة السيد المسيح الضابط الكل .

٢) مكان ميلاد العذراء:

في أورشليم، وبجوار بركة بيت حسدا، تستقيم حالياً كنيسة شيّدها الصليبيّون، في القرن الثاني عشر، على أنقاض كنيسة بيزنطية قديمة تحمل اسم العذراء، وتعود إلى القرن الخامس، وقد كرَّسوا الكنيسة الجديدة إلى القديسة حنّة. وبحسب تقليد قديم ثابت لا يخامره الريب، كانت سكنى القديسَين يواكيم وحنّة في المغارة التي تسفل هذا المعبد وحيث وُلدت العذراء مريم. ان تقليد الشرق الدائم منذ البداية وتقليد أورشليم بنوع خاص وشهادات بعض آباء الكنيسة ولا سيّمَا القديس يوحنا الدمشقي وتصريحات السيّاح الكثيرين العديدة، تثبت كلها بدون أدنى شك أن القديسة حنّة حبلت بالعذراء وولدتها في المكان الذي تستقيم فيه اليوم كنيسة القديسة حنّة.

أمّا الرأي المستحدث الذي يضع مكان مولد العذراء في الناصرة فهو ناجم عن **تفسيرات خاطئة لبعض الغربيّين**. فقد اعتقدوا ان ما دامت البشارة قد حصلت هناك فمريم مكثت دوماً في الموضع نفسه. وفاتهم أنّ نسيبتها أليصابات من بلدة عين كارم في اليهودية، وروابط العذراء العائلية لم تكن كلها جليليّة. فلم يرجعوا إلى الشهود المحليين ولا إلى الواقع التاريخي. ورأيهم هذا لم يتعدَّ القرن التاسع.

إنّ السيّاح الذين أمُّوا الأرض المقدسة منذ البدء حتى منتصف القرن الثاني عشر، وزاروا الناصرة وعدّدوا أسماء الأماكن المقدسة التي رأوها لم يأتوا على ذكر مكان مولد العذراء في هذه المدينة، بل ذكروا أنهم زاروا في أورشليم كنيسة «القديسة مريم حيث ولدت»، قرب بركة الغنم، بركة بيت حسدا.(أنظر مديح العذراء مريم البيت الحادي والعشرين ص ٩٣ في خدمة مديح السيّدة العذراء ـ إصدار جمعية نور المسيح).

إن واضع إنجيل يعقوب المنحول الأورشليمي ، قد ألمح في كتابه أنّ مكان مولد العذراء قد تمّ في مدينة أورشليم وقد أخذت الشهادات تتعاقب بعده بطريقة غير منقطعة تثبت أن العذراء وُلدت في أورشليم على مقربة من بركة الغنم. وانّ **الأمبراطور الرومي ثاودوسيوس** قام بزيارة الأماكن المقدسة سنة ٥٣٠ وأدلى بأنه زار كنيسة لسيدتنا مريم العذراء في بركة الغنم. وكذلك السائح المجهول الاسم الذي أتى إلى أورشليم سنة ٥٧٠ وزار «كنيسة مريم حيث وُلدت». وان الراهب القديس صفرونيوس الدمشقي، الذي اعتلى السدّة البطريركية الأورشليمية فيمَا بعد، جاء في قصيدته الشهيرة التي أنشدها نحو ٦٠٣ أو ٦٠٤: «أَدخُل إلى بركة الغنم المقدسة حيث أنجبت حنّة الشريفة مريم، وأَنزل إلى هيكل العذراء الكلية الطهر، وأُغطّي بقبلاتي الجدران العَزيزة عليّ».

أمّا القديس يوحنا الدمشقي المتوفى سنة ٧٤٩ فقد ورد في عظته الأولى في مولد العذراء والتي ألقاها في أورشليم في كنيسة مولدها عينها: «إفرحي، يا بركة الغنم هيكل العذراء مريم الكلي القداسة. إفرحي، يا بركة الغنم مقام أجداد الملكة، حظيرة غنم يواكيم قديماً، التي أصبحت اليوم كنيسة قطيع المسيح الروحي ورمز السماء. ما كنت تحتفين قديماً إلاّ مرة واحدة في السنة بملاك اللّه الآتي لتحريكَ الماء وإعادة البرء إلى عليل واحد، مخلِّصاً إياه من المرض الذي أقعده. أمّا الآن فلديك جمهور من الأرواح السماويّة يحتفي معنا بوالدة الإله، غور العجائب وينبوع الشفاء للجميع. لقد قبلت، لا ملاكاً خادماً، بل ملاك "**المشورة العظيمة**" الذي انحدر بدونَ جلبة على الجزّة، وانْهَمَرَ كمطر حنّان، ذاك الذي أعاد للطبيعة السقيمة كلها والمائلة إلى هلاكٍ الصحة الكاملة والحياة التي لا تعتريها الشيخوخة هو الذي جعل المريض المُقعد المُلقى في رواقك يقفز كالأيِّل. إفرحي يا بركة الغنم الكريمة! فلتتكاثر نعمك!».

٣) عيد ميلاد العذراء مريم:

يرجع أصل هذا العيد إلى تدشين كنيسة «القديسة مريم» البيزنطية المجاورة لبركة الغنم. وقد شُيِّدت في القرن الخامس لتحلّ مكان المعبد الصغير العائد إلى العهد الامبراطوري الروماني والقائم على موضع سكنى القديسَين يواكيم وحنّة والدَي البتول مريم. وقد دُعيت هذه الكنيسة، منذ العصور الوسطى السحيقة «كنيسة القديسة مريم حيث وُلدَت». وفي عهد المملكة اللاتينية الأورشليمية، بنى الصليبيون على أنقاض المعبد البيزنطي الكنيسة التي نراها اليوم وقد رمّمها المهندس الفرنسي موس Mauss .A في أواخر القرن الماضي وتبدّل بغتة اسم هذا المعبد المريمي في أيام الصليبيين وأصبح اسمه «كنيسة القديسة حنّة» كما هي الحال اليوم.

عيد مولد العذراء مريم أورشليمي الأصل إذن. وقد تبنَّته القسطنطينية في القرن السادس وتبعتها روما في القرن السابع على عهد البابا سرجيوس الأول (٦٨٧ ـ ٧٠١) من جزيرة صقلية.

٤) معنى هذا العيد:

ليس عيد مولد العذراء تذكاراً سنوياً بسيطاً وظرفاً مناسباً لتقديم الاكرام والاحترام للبتول المصطفاة، فنعبّر لها عن فرحتنا العظيمة يوم مولدها فجر فدائنا. ان طقوس الكنيسة البيزنطية تذهب إلى ما هو أسمى وأعمق وأبعد من هذا، وتعبِّر عنه بلغة شعريّة عقائدية بليغة. فتشيد بمولد مريم العجيب من أُم عاقر، وبطهارتها المنزّهة عن كل دنس، وبتوليتها الدائمة، وبمعجزة البتول ـ الأم، التي هي خليقة تسمو على كل مخلوق وهيكل تمّ فيه اتحاد اللاهوت والناسوت في أقنوم واحد، فتنشد لها يوم العيد: «ان البتولية مستحيلة على الأمهات، والولادة غريبة عن العذارى. وأمّا فيك، يا والدة الإله، فقد تمّ تدبير الأمرين. فلذلك نحن قبائل الأرض نغبطك بغير فتور».

بما ان مريم والدة الإله، فهي بذات الفعل شريكة ابنها بفداء البشر وملجأ المسيحيين ونصيرتهم ومفخرة الجنس البشري. لذلك نشيد بمولدها بدء خلاصنا.

وإليكم هذه الطروبارية التي تردّدها الكنيسة البيزنطية مراراً يوم العيد وفي أثناء الأيام الأربعة التي تعقبه:

«ميلادك يا والدة الإله، بشَّرَ بالفرح المسكونة كلها. لأنه منك قد أشرق شمس العدل المسيح إلهنا. فحلَّ اللعنة ووهب البركة، وأبطلَ الموت ومنحنا الحياة الأبديّة». فيبدو بكل جلاء ـ في أناشيد الفرض الإلهي لهذا اليوم المقدس ـ دور مريم في التدبير الخلاصي والأسباب التي تحمل الكنيسة على إكرامها.

نورد فيمَا يلي بعض المقاطع من صلاة الغروب عشية هذا العيد: «اليوم الإله المستقر على الكراسي العقليّة، قد سبق فهيّأ لذاته على الأرض عرشاً مقدساً. والذي ثبّت السماوات بحكمة، أنشأ بمحبته سماء حيّة. لأنه من أصل غير مُثمر أنبتَ لنا والدتَه غصناً حاملاً الحياة. فيا إلهَ العجائب ورَجاء الذينَ لا رجاءَ لهم، يا رب المجد لك».

«اليوم الأبوابُ العقيمة تُفتَح، والبتولُ البابُ الإلهي تُوافي. اليوم النعمة ابتدأت تثمر، مُظهرةً للعالم أُمّ الإله، التي بها تقترن الأرضيات بالسماويات، لخلاص نفوسنا».

«اليوم مقدّمةُ الفرح لكل العالم، اليوم نفحت نسائم التبشير بالخلاص، وانحلّ عقم طبيعتنا. لأن العاقر صارت أُمّاً لمن لم تبرح بتولاً بعد ولادتها الخالق والإله بالطبع، الذي منها اتخذ الطبيعة الغريبة، وصنع بالجسد خلاصاً للضالّين، المسيحَ المحبّ البشر والمُنقذَ نفوسنا».

«اليوم حنّة العاقر تلدُ فتاة اللّه، التي سبق انتخابها من جميع الأجيال، مسكناً للخالق المسيح الإله ملك الكل، إتماماً لسياسته الإلهية، التي بها أُعيدَت جبلتُنا نحن الأرضيين، وانتقلنا من الفساد إلى حياة سرورية».

«هلمَّ يا معشرَ المؤمنين، لنبادر نحوَ البتول، لأن التي قبلَ تصوّرها في الحشا سبقَ تحديدُها أُمّاً لإلهنا، تولَدُ من أصل يسّى، والتي هي ذخيرة البتولية، وعصا هرون المورقةُ وبشارة الأنبياء، وفرع الصدِّيقَين يواكيم وحنّة، تولَدُ الآن والعالمُ يتجدّد معها. تولَدُ والكنيسة تتزيَّن ببهائها. فيا أيّها الهيكل الأقدس، يا إناء اللاهوت، ورُكن البتوليّة، وخدراً ملوكياً، يا من بها تمَّ سرّ الاتحاد الغريب لطبيعتَي المسيح، الذي نسجد له معظمين ميلادَكِ البريء من كل العيوب، إياكِ نعظِّم».

وبالإضافة إلى الأناشيد الطقسية التي تتغنّى بمولد العذراء وعلاقتها بسرّ الفداء وامتيازاتها، فإن الكنيسة الروميّة البيزنطية تتلو على مسامع المؤمنين عشية الثامن من أيلول ثلاث قراءات من العهد القديم، تشير أو ترمز إلى دور البتول المصطفاة في سرّ الفداء. فتتحدّث القراءة الأولى عن الليلة التي قضاها يعقوب في لوز قرب حرّان ورؤية السلّم المنتصب على الأرض ورأسه مرتفع إلى السماء... وقد قارن القديس يوحنا الدمشقي بين هذه الرؤية والقديسة والدة الإله: «لقد بَنَت ذراع العليّ القديرة سلَّماً حيّاً لها أساسه في الأرض ورأسه مرتفع إلى السماء. عليه يرتاح اللّه. وقد تأمل فيه يعقوب وانحدر الإله بعطف بواسطته، وصار منظوراً على الأرض وتحدّث إلى البشر... هي العذراء مريم، السلم الروحي المغروس في الأرض... لكن رأسه مرتفع حتى السماء».

ثمّ قال يعقوب: «حقّاً إنّ الربّ في هذا المكان وأنا لم أعلم» وخاف وقال: «ما أرهب هذا المكان! ما هذا إلاّ بيت اللّه، وهذا باب السماء».

ان مريم التي تجسّد منها المسيح الإله هي بالحقيقة سلّم سرّي بين الأرض والسماء، بيت اللّه الحقيقي.

أمّا القراءة الثانية فمن حزقيال النبي، تتحدّث عن طريق باب المقدس المغلق: «ورجع بي إلى طريق باب المقدس الخارجي المتّجه نحو الشرق وكان مغلقاً. فقال لي الرب: ان هذا الباب يكون مغلقاً لا يُفتَح ولا يدخل منه رجل لأن الرب إله اسرائيل قد دخل منه فيكون مُغلقاً» (حز٤٤: ١-٣). يشير هذا النص، بحسب تفسير الكنيسة، إلى بتولية مريم الدائمة وأُمومتها المعجزة البيان.

وأمّا القراءة الثالثة فمأخوذة من سفر الأمثال: «الحكمة بَنَتْ بيتَها ونحَتَتْ أعمدتها السبعة. ذبحت ذبائحها ومزجتْ خمرها وصفّفت مائدتها أرسلت جواريها تُنادي على مُتُون مشارف المدينة...» (أم٩: ٦-١)، ترى الكنيسة البيزنطية في هذا النص، إشارة إلى العذراء مريم، البيت الذي بناه اللّه الحكمة الفائقة، ورسولة العليّ المرسلة إلى البشر لتدعوهم إلى مائدة الحكمة الإلهية والحقيقة، إلى مائدة المسيح «أبرز مظاهر الحكمة في هذا العالم». بهذه الروح السامية والعميقة المعاني تعيِّد الكنيسة الشرقية الروميّة البيزنطية لمولد البتول مريم، المزمعة أن تكون أُمّاً للإله، وتدعو جميع المؤمنين لا بل جميع البشر أن ينضمّوا إلى القديس يواكيم والقديسة حنّة، وآل أبوينا الأولَين آدم وحواء، كي يحتفوا بابتهاج وحبور بمولد تلك التي ستكون شريكة المسيح ابنها بفداء الآنام، ونصيرة جميع المسيحيين.

٥) مولد العذراء مريم في الفن الايقونغرافي:

لقد أثّرت الأناجيل المنحولة ـ ولا سيمَا إنجيل يعقوب ـ تأثيراً عظيماً في فن التصوير والنحت والشعر الكنسي والعالمي. فقد كانت مصدر إيحاء لفنّاني العصور الوسطى وللتصوير البيزنطي إجمالاً، ولا نستثني من هذا النفوذ الكبير إيقونات مولد العذراء. فاننا نرى ممثلةً في مقدّمتها القابلة (المولّدة) التي تحدّث عنها الإنجيل المنحول،

وهي جالسة على مقعد، تغسل العذراء الصغيرة، أو تلبسها الثياب، والطفلة النقيّة ممدَّدة على ركبتيها أو مضَّجعة في «السرير الهزاز» تحدو لها وتهزّها. يحوم فوق السرير ملاكان. بالقرب من المولّدة وعاء ماء ومنشفة. وممّا يضفي على هذه الايقونة الحركة والحياة مشهد امرأة أو نساء يقمن بعطف وحنان بخدمة القديسة حنّة المسترسلة على فراشها ودلائل الألم على محيّاها. أمّا القديس يواكيم فيساعد الجواري في الخدمة، أو يتحدّث إلى شيخ جليل. ويبدو أحياناً منتصباً، عيناه شاخصتان إلى السماء في وقفة صلاة وشكر للّه على ما وهبه.

يوجِّه القديس يوحنا الدمشقي في ختام عظته عن مولد البتول هذه الصلاة الرائعة لوالدة الإله، ويجدر بكل متعبّد لهذه الأم الرؤوم أن يردّدها بكل ثقة ومحبة:

«ايتها الملكة، ابنة يواكيم وحنّة، تقبّلي كلمة خادمك الخاطئ، وقد ألهبه الحب، فأنت له رجاء الفرح الوحيد وحامية الحياة. أنت المُصَاَ لحةُ الأمينة لدى ابنك، وضمان الخلاص الأكيد. يا ليتك تزيلين عني حملَ خطاياي، وتبدّدين غيم الظلام المدلهمّ المسيطر على عَقلي، والثقل الذي يربطني إلى المادة! يا ليتك تبعدين عني التجارب وتسيطرين على حياتي وتقودينني باليد إلى السَعادة العلويّة. امنحي العالم السلام.. والفرح الكامل والخلاص الأبدي بصلوات والديكِ وكل أعضاء الكنيسة. آمين».

المنجمون ومصيرهم المحتوم

لم يكن المنجمون علماء فلك ، فعلماء الفلك يدرسون أبعاد الأجرام السماوية وحركاتها ودورانها وتركيبها ، أما المنجم فكان يؤمن بتأثير هذه الأجرام السماوية على حياة البشر ، فكان يفسر حركاتها وابتعادها واقترابها من بعضها البعض ، بأحداث فى العالم أو في حياة الناس . وقد ظهر المنجمون في بابل منذ القرن السابع قبل الميلاد ، كما اشتهر به **بطليموس السكندري** في القرن الثاني قبل الميلاد .وعندما حلم **نبوخذ نصر** حلماً أزعجه ، أمر بأن يستدعى المجوس والسحرة والعرافون والكلدانيون ليخبروا الملك بأحلامه (دانيال٢ :٢ و٤ و٥ و١٠) ، إذ كان الكلدانيون على رأس المنجمين ، ولكنهم لم يستطيعوا معرفة الحلم أو تفسيره . ويبدو أن عملهم لم يكن قاصراً على تفسير الأحلام لأن **بيلشاصر** استدعاهم أيضا لقراءة وتفسير الكتابة التى كتبتها يد إنسان بإزاء النبراس على مكلس حائط قصر الملك ، ولكنهم لم يستطيعوا أن يقرأوا الكتابة ، ولا أن يعرِّفوا الملك بتفسيرها (دانيال٥:٥-٨).وكان الملك

نبوخذ نصر قد جعل دانيال «كبير المجوس والسحرة والكلدانيين والمنجمين » (دانيال٥:١١) ، ولكن دانيال أقر بأنه ليس هو أو غيره يستطيع ذلك « لكن يوجد إله في السموات كاشف الأسرار » (دانيال ٢: ٢٧-٢٨).

ويقول إشعياء النبى : «ليقف قاسمو السموات (المنجمون) الراصدون النجوم المعروفون عند رأس الشهور ويخلصوك مما يأتى عليك . ها إنهم قد صاروا كالقش ، أحرقتهم النار .لا ينجون أنفسهم عن يد اللهيب » (أش ٤٧: ١٤).

من مصطلحات الطقس الرومي البيزنطي

كاطانيكتيا: κατανυκτικά

كاطانيكتيا: أي خشوعيّة ، وهو مصطلح طقسي بيزنطي ، وهو ترنيمات ترتل في الكنيسة الروميّة البيزنطية ، تدعو المسيحيِّين إلى التوبة والخشوع .

كاطافاسيًّا: καταβασία

كاطافاسيًّا: أي «النزول» وهو مصطلح طقسي رومي بيزنطي، فكل تسبيحة (أوديّة) من تسابيح القانون تبدأ بمطلع هو «الأرموس» ، وتنتهي بترديد نفس الأرموس أو غيره. أما الأرموس الذي تنتهي به التسبحة فيسمى «كاطافاسيًّا» ، ودُعِيَ بهذا الأسم لأن المرتّلين كانوا ينزلون أثناء ترتيله إلى محلهم في وسط الكنيسة.

قطع رأس القديس يوحنا المعمدان
السابق الأوّل لمجيء المسيح

+ تَعَلَّمَ المعمدان الكتب المقدسة في طفولته، ليس فقط لان أبوه كان كاهناً، ولكن بالتأكيد كان كتيموثاوس يعرف الكتب المقدسة منذ نعومه أظافره، وبما لا شك فيه أن أبوه أثناء قراءة الكتب المقدسة للمعمدان كان يشدد على بعض العبارات التي جاءت في «إشعياء ٤٠» وفي «ملاخي ٣» التي تقول «وأنت أيها الصبي نبي العلي تُدعى لأنك تتقدم أمام وجهه الرب لتعد له الطريق»، وكان والده يلتفت إلى الصبي الجاثي على ركبتيه ويقول هذه الكلمات تشير إليك.

سبق أن تنبأ الملاك الذي أعلن ولادته أنه سوف لا يشرب خمراً أو مسكر، بل يمتلئ من الروح القدس من بطن أمه، قال الكتاب «جاء يوحنا لا يأكل ولا يشرب» (متى١١:١٨)، كان هذا الامتناع عن الطعام والشراب أنه نذير، يضاف إلى هذا عدم حلق شعره وحرصه على أن لا يمس ميتاً كان أيضاً علامة على إن المعمدان كان نذيراً للرب طول أيام حياته على الأرض. كانت هناك مدرسه البرية، ظل لمعمدان في البرية التي كانت مقفرة جداً دعاها اليهود «رجسه الخراب» ، يقول السائحون الذين مروا بهذه البرية إنها مُجرّده من كل حياه سوى الطيور الجارحة والثعالب أحيانا، كانت البرية صحراء رمليه، تكتسحها الرياح الشديدة، أكل يوحنا الجراد والعسل البري الذي يكثر في شقوق الصخور، أما لُباسه فقد اكتفى المعمدان بقميص من وبر الإبل ومنطقه من جلد على حقويه، وأتخذ له بيتاً من مغارة، وكان يشرب من مياه الأنهار التي تجري نحو البحر الميت. قال القديس لوقا عن المعمدان في (لوقا١:٨٠) «أما الصبي فكان ينمو ويتقوى بالروح وكان في البراري إلى يوم ظهور إسرائيل».

كما ذكرنا سابقاً إن المعمدان كان يعرف النبوة التي أشارت إليه في (إشعياء٤٠:١-٣) «عزوا عزوا شعبي يقول إلهكم... صوت صارخ في البرية أعدوا طريق الرب قوّموا في القفر طريقاً لإلهنا». كذلك النبوة الواردة في سفر (ملا٣)، والتي تُوحي بأنه على مثال وروح إيليا النبي، ولكن عقل المعمدان أيضا أثرت فيه تلك الجرائم والمفاسد التي شملت كل طبقات الشعب وحكمت عليهم بدينونة، موت هيرودس أثناء طفولة المعمدان أدى إلى إضطرابات اتخذ منها الرومان مبرر لاحتلال أورشليم، والقضيب قد زال من يهوذا والمشترع من بين رجليه، ورئاسة الكهنة أصبحت لعبه في أيدي الحكام والولاة الرومان. العشارون أصبحوا مُبْغَضِين بسبب تعسفهم ومظالمهم وغشهم للشعب والفريسيين صاروا مرائين، وطبقه الحكام تجردوا من البساطة وانغمسوا في الشهوات والملذات التي اكتظت بها الامبراطوريه، ولم يكن غريباً على المعمدان أن يُطلق على أشهر قاده الدين في هذا الوقت لقب «أولاد الأفاعي».

خدمه المعمدان: حانت اللحظة التي فيها ينطلق المعمدان بالرسالة التي كانت تضغط على قلبه، وفي السنة الخامسة عشر من سلطان «طيباريوس قيصر»، إذ كان بيلاطس البنطي والياً على اليهودية وهيرودس رئيس ربع على الجليل، وأيضاً في أيام رئيس الكهنة حنان وقيافا، صرخ يوحنا صرخة مدوية في الناس «توبوا لأنه قد أقترب ملكوت السموات»، وكأن شراره قد انطلقت في أرض جافه، انتشرت الأنباء بسرعة مذهله في اليهودية، أنساناً يجب رؤيته، فكلماته كالنار، وفي الحال التَفَّتْ حوله الجموع من كل مكان، وذاعت أنباء بسرعة فائقة بأنه قد ظهر قائد عظيم وواعظ قدير. أتخذ المعمدان مكاناً له قرب واحة أريحا الواقعة على شاطئ بحر الأردن.

جاءت الجموع من كل مكان وكل قبيلة وكل مهنه، وكانوا يصغون إليه ويصرخون لطلب الاغاثه من الظلم الواقع عليهم من الرومان ورؤساء الكهنة. جاء إلى المعمدان كثيراً من الفريسيين والصدوقيين ليعتمدوا (متى٣:٧)، ويبدوا أن مجيئهم بعث التعجب في نفس يوحنا المعمدان ولذا قال لهم:

«يا أولاد الأفاعي من أراكم أن تهربوا من الغضب الآتي»، ومن الواضح أن الفريسيين والصدوقيين جاءوا لمجرد الانتقاد لأنهم لا يريدون التفريط في قياده إسرائيل الروحية.

في قول المعمدان «قد أقترب ملكوت السموات»، كان اليهودي يفهم من هذه العبارة عوده حكم رجال الدين، والرجوع إلى تلك الأيام العظيمة في تاريخ شعبه حينما كان اللّه نفسه هو المُشرع وهو الملك. وبجانب إعلان الملكوت أصرّ المعمدان على المنادة «بالغضب الآتي»، لأنه رأى أن مجيء الملك سيجلب الآلام حتماً لمن كانوا منغمسين في الخطية. كانت الأمة اليهودية عديمة الثمر ومنغمسة في شهوات ونجاسات كثيرة، لذا أصرّ المعمدان على عبارة **الغضب الآتي** لان **أجره الخطية موت**، وكما قال بولس الرسول في (عبرانيين٦:٨) «والأرض التي تُخرج شوكاً وحسكاً بعد أن شربت المطر تأتي عليها مراراً كثيرة فهي مرفوضة وقريبه من اللعنه، ونهايتها الحرق». إذاً، فقد كانت كل كرازة المعمدان تؤدي إلى طلب التوبة، وكانت الكلمة التي طالما قالها المعمدان هي «توبوا»، لهذا يجب ترك الخطية والرجوع النهائي إلى اللّه، وصنع أثمار تليق بالتوبة والحياة الابدية.

معمودية التوبة: كانت جماعه الاسينيين أيام المعمدان هدفهم الطهارة الادبية والطقسية، وكانوا يسعون نحو المثل الأعلى للقداسة، التي أعتقدوا أنها لن تتحقق في هذا العالم، وكانوا يهجرون القرى والمدن ويلجأوا إلى المغائر والشقوق في الصخور. كرسوا أنفسهم للزهد والتقشف والصوم والصلاة، وكانوا يعملوا بعض الأعمال الزراعية الخفيفة. كان من ضمن إيمان الاسينيين الوصول إلى أسمى درجات الشركة مع اللّه بالتأملات والصلوات وتعذيب الجسد والغسل الكثير والتدقيق في حفظ نواميس الطهارة الطقسية، واتفقوا مع الفريسيين في حفظ السبت بالدقة المتناهية، كان طعامهم اليومي من أبسط الأنواع، وكانوا يأكلوا في مكان اجتماعاتهم الدينية. بعد ألاستحمام كانوا يتلون بعض من الصلوات والنصائح، ثم يذهبون إلى هيكل مقدس. كان الاسينيين أيضاً يمتنعون عن المال ويحتقرون الثروة، ويمقتون جداً الحرب والعبودية، ويواجهون التعذيب والموت بكل شجاعة. واضح أن المعمدان لم يكن عضواً في هذه الجماعة المقدسة التي كانت تختلف اختلافا واضح بينهم وبين الفريسيين والصدوقيين في زمانهم، كان الاسينيين يلبسون ملابس بيضاء رمزاً للطهارة، أما المعمدان فكان يكتفي بلبس ثوب من وبر الإبل، ووضع منطقه على حقويه، كان الاسنيين يغمسون الخبز بالزوفا (الزوفا هي عشبه عطريه الرائحة، والجزء المستعمل منها هي الرؤوس المزهرة)، أما المعمدان فكان يغمس بالعسل، كان الاسينيين يعيشون حياه اجتماعيه، أما المعمدان فعاش وحيداً منذ فجر حياته.

الدعوة للتوبة: أن معنى التوبة حسب التفسير الحرفي للكلمة في اليونانية هو «تغيير العقل»، ولكن من الأفضل أن نقول أنها تغيير في وجهه نظر الاراده، النفس غير التائبة تختار طريقها وأرادتها دون مبالاة بناموس اللّه، أما في التوبة فالنفس تغير موقفها لأنها لا تعود بعد ترفض نير اللّه، بل تخضع له وتكون مستعدة لهذا الخضوع.

مما لا شك فيه أن التوبة هي من عمل الاراده، ويمكن اعتبار التوبة بأنها الجانب الآخر من الإيمان، هما وجهان لعمل واحد، أن كان عمل النفس الذي يأتي بها إلى علاقة طيبه مع اللّه يُسمي رجوعاً عن الطريق الذي تسلكه فأن التوبة تمثل الرغبة في الرجوع عن الخطية، والإيمان يُمثل الرغبة في الرجوع إلى اللّه.

أصنعوا أثمار تليق بالتوبة، هذا ما قاله المعمدان، بشيء من الغضب، عندما رأى الكثيرين من الفريسيين والصدوقيين يأتون إلى معموديته، لقد أصرّ المعمدان على أن التوبة ليست أقوالاً بل حياه، ليست مجرد المظاهر والطقوس بل المبادئ، وقرّر بأن صدق التوبة يجب أن تشهد له الثمار المناسبة.

كانت حياه المعمدان عجيبة جداً ففي النهار كان يكرز للجماهير التي ازدحمت حوله أو يُعمدها، وفي الليل ينام في كوخ حقير أو كهف مُظلم، ولكن الاقتناع كان يتزايد بقوة في نفسه بأن المسيا قد أقترب مجيئه، ثم تحول هذا الاقتناع إلى رؤية. فالروح القدس الذي امتلىء به كان يُعلمه. يقول التقليد أن مكان معمودية يوحنا كان بالقرب من أريحا، حيث يقل عمق المياه وحيث تتسلل منه المياه إلى الخارج في شكل بركه متسعة.

علاقة المعمدان بهيرودس أنتيباس أبن هيرودس الكبير:

ورث هيرودس أنتيباس ربع سلطان أبيه، لذلك سُمي رئيس ربع، وحكم الجليل وجزءاً من بيريه (لو٣:١)، وكان هيرودس يقضي معظم أوقاته في طبرية في فخفخة عظيمة نقلها من روما، التي قضي فيها معظم أيام حياته الأولى، ومن بداية حياته كان مستبداً جداً في السلطة وشهوانياً، ضعيفاً ومتقلباً وقاسياً.

راقب هيرودس لمده بضعه شهور تصرفات المعمدان، ولم يكن يتوقع أن المعمدان يراقب هو أيضا كل حركاته وتصرفاته، وكما قال القديس مرقس « كان يهاب يوحنا عالماً أنه رجل بار وقديس وكان يحفظه (يراقبه)»(مر٦:٢٠). وقد منعت الملك مهابة الحكم من الذهاب بنفسه إلى وادي الأردن، لكنه كان شغوفاً جداً أن يرى رجل اللّه العظيم هذا ويسمعه. أستدعي هيرودس المعمدان إلى قصره لكي يُلقي إحدى عظاته، كانت هناك عوامل كثيرة أثرت على هيرودس في استدعائه للمعمدان للقصر الملكي، لقد عرف الملك أن الأرض أمتلات من شهرة المعمدان، وبخبث هيرودس ظن أنه لو أصبح صديق للمعمدان، ستكون شهرته من شهرة يوحنا، وأيضاً يُبعد الأنظار عن خطاياه الشخصية التي أنتنت رائحتها. يقول بعض المُفسرون (مرقس٦:٢٠) أن عظه المعمدان الاولى أمام هيرودس تلتها أخرى ثم أخرى، وعلى هذا الأساس يكون المعمدان قد عالج في أول الأمر أموراً عامة، ولفت نظر الملك إلى بعض أخطاء بسيطة لم تكن شخصية جداً ففاز بأحترم هيرودس له.

لنا أن نتخيل مكان اجتماع المعمدان في القصر الملكي، جمهور كبير يحضر الاجتماعات، وفي الوسط، يجلس الملك وبجواره المرأة التي كان يعيش معها في علاقة غير شرعية، وبجوارهما أبنتها «سالومي»، وحولهم جلس رجال الحاشية وسيداتهم، النبلاء، الجند والخدم. بدأ المعمدان في عظته، وتعمق في خطايا ذوي المراكز الرفيعة بكلمات نارية، ثم وَجَّه سهامه النارية إلى المرأه الجالسة بجوار الملك، ثم صرخ في وجه هيرودس قائلاً «لا يحل لك أن تكون لك امرأة أخيك»، ذُهل كل السامعين وحَلَّ على الاجتماع صمت رهيب، ومن عمق الصدمة لم يتحرك واحداً من الحضور أو الجند للقبض على المعمدان، لان الكتاب المقدس يقول صراحاً أن «هيرودس أرسل وأمسك يوحنا» (مر٦:١٧). قبض هيرودس على المعمدان بعد أن نفثت هيروديا عشيقته السموم في أذنيه وقلبه، وأودعه في سجن قلعه «ماكيرا» الحصينة. كان يُطلق على قلعة «ماكيرا» البرج الأسود، وكانت تقع على الشاطئ الشرقي للبحر الميت، ولا تزال آثار هذه القلعة موجودة إلى اليوم، حيث ترى حجارة مربعه هائلة على جبل مرتفع، محاطة من ثلاث جهات بهوة لا يمكن تسلقها، ولا ترى العين قاعها. استدعى هيرودس الملك المعمدان مراراً لكي يعدل عن ما قاله أمام الجميع لكي لا يقتله، ويقول المفسرين أن المعمدان قضى قرابة ١٢ شهراً في السجن، ولكنه لم يعدل عن رأيه في خطايا هيرودس ونجاساته، وفي لحظة كان فيها هيرودس في نشوة الخمر ومتأثرا بشهواته الجنسية، **وجدت هيروديا الفرصة، وطلبت منه أن تُقطَع رأس المعمدان، ونفذ المخمور الأمر.** ■

رفع الصليب الكريم المحيي في العالم كلّهِ

إنّ الصليب المقدس هو قوّة اللّه الخلاصيّة ، ويعتبر صليب ربّنا يسوع المسيح من العلامات التي يعتز بها المؤمن المسيحي، ويتجلى ذلك في حياته اليومية فنراه يرشم علامة الصليب في كل وقت كان، في الأفراح والأحزان والآلام.

عيد الصليب المقدس أو عيد اكتشاف الصليب المقدس، ويسمى أيضاً عيد رفع الصليب المحي؛ لهذا العيد أصول قديمة نذكر منها: يذكر المؤرخ الكبير أوسابيوس القيصري بأن الملك **الرومي قسطنطين الكبير** (٣٢٤-٣٣٧) الذي رأى علامة الصليب في السماء على مثال نور بهيئة الصليب مع مكتوب تحتها عبارة: (بهذه العلامة تغلب).

وإن أقدم شهادة عن وجود خشبة الصليب المقدس في أورشليم جاءتنا في خطبة للقديس كيرلس الأورشليمي الذي ذكر في سنة ٣٤٧ بأن ذخائر خشبة الصليب المقدس وُجِدَت الآن في العالم. ومن قوله هذا يمكن الاستنتاج بأن خشبة الصلَيب اكتشفت في الفترة بين ٣٣٥-٣٤٧م.

وذكرت ايجيرية الراهبة الأفرنجية في أخبار رحلاتها الى فلسطين بأن تذكاراكتشاف الصليب تعلق بعيد التكريس وبأن العيد كان لمدة ٧ ايام يجري خلالها تقديم الصليب المقدس لتسجد الناس له اكراماً وتشفعاً. ومن التقليد الكنسي عيّن تاريخ هذا العيد في ١٤ أيلول من كل عام وذلك منذ القرن السادس الميلادي.

القصص الشعبية القديمة عن اكتشاف خشبة الصليب المقدس:

هناك العديد من القصص الشعبية القديمة التي تذكر حادثة اكتشاف خشبة الصليب المقدس ولكن أهمها وأكثرها انتشاراً هي قصة القديسة هيلانة والدة الملك قسطنطين الأول الكبير التي أتت الى الديار المقدسة في القرن الرابع، بعد انتصار الملك قسطنطين سنة ٣١٣ للبحث عن الصليب المقدس في أورشليم، وبعد أن سعت في مبتغاها استدلت على موضع القبر الجليل ، توفقت في اكتشاف الصليب مدفوناً بالقرب من الجلجلة بين ثلاثة صلبان وتحقق مكاريوس أسقف أورشليم من صحة عود الصليب المقدس. وتأكيداً على صحة هذه القصة يجب ذكر قولٌ للقديس يوحنا الذهبي الفم في خطبة القاها بين سنة ٣٩٠-٣٩٥والتي ذكر فيها بأن الفرق بين الصليبً الصحيح والصليبين الأخرين عندما اكتشفتهما الملكة هيلانة كان واضحاً من اللوحة التي كُتبَت بأمر بيلاطس والتي بقيت معلقة عليه ، ويرى ذلك أيضاً القديس امبروسيوس أسقف ميلانو (٣٧٤-٣٩٧) ، ويضيف إلى ذلك بأن القديسة هيلانة أم قسطنطين الملك الروميّ هي التي اكتشفت خشبة الصليب المقدس فعلاً. (أقوال الذهبيّ الفم)

وعندما قام الفرس بغزو اورشليم ونهبها سنة ٦١٤ كانت خشبة الصليب المقدس بين جملة الغنائم التي أخذوها ونقلوها معهم الى قطيسفون (المدائن) عاصمة مملكتهم الشتوية على نهر دجلة

وبقي الصليب من حوزتهم حتى قام الإمبراطور الرومي هرقل واستظهر عليهم ، فردَّهم على أعقابهم وهزم جيوشهم وانتصر على **كسرى الثاني** سنة ٦٢٨ وأعاد ذخيرة الصليب المقدس ، وبدخول الفاتحين الى القسطنطينية والتي استقبلت الموكب بأحتفال مهيب بالمصابيح وتراتيل النصر والإبتهاج.

بعدها نقلت الذخيرة إلى إورشليم سنة ٦٣١. ويذكر التقليد أنّ الملك هرقل حمل الصليب على كتفه وسار به بحفاوة كبيرة بين الجموع المحتشدة إلى الجلجلة وهناك أحسّ الملك بقوة خفية تصده وتمنعه من دخول المكان فوقف الأسقف زكريا بطريرك أورشليم وقال للإمبراطور: (حذار أيها الملك أن هذه الملابس اللامعة وما تشير اليه من مجد وعظمة تبعدك عن فقر المسيح يسوع ومذلة الصليب) وفي الحال خلع الملك ملابسه الفاخرة وارتدى ملابس حقيرة وتابع مسيره حافي القدمين حتى الجلجلة حيث رفع عود الصليب المكرم فسجد المؤمنون على الأرض، وهم يرنمون (لصليبك يارب نسجد ولقيامتك المقدسة نمجد).فأضيف تذكار هذه المسيرة الى عيد ارتفاع الصليب في ١٤ ايلول في اكثرية الطقوس.

ومن العادات الشعبية المقترنة بعيد الصليب إشعال النار على قمم الجبال أو أسطح الكنائس والمنازل أو في الساحات العامة، وترجع هذه العادة إلى النار التي أمرت **القديسة هيلانة** باشعالها من قمة جبل إلى أخرى لكي توصل خبر عثورها على الصليب لإبنها **الملك قسطنطين** .

إشارة الصليب:

إشارة الصليب حركة استعملها المسيحيون منذ القديم، وهي تشكّل العلامة الخارجية لجميع أسرار الكنيسة المقدّسة، من دون استثناء.أول شهادة مكتوبة عن رسم إشارة الصليب وصلتنا هي للعلاّمة الإفريقي ترتليانوس (١٥٥–٢٢٥) الذي قال: «في جميع أعمالنا نحن المسيحيّين، حين ندخل ونخرج، حين نلبس الثياب...، أو نجلس الى المائدة، أو نستلقي على السرير...، نرسم إشارة الصليب على جباهنا».ويتابع قوله مؤكداً بأن هذه العادة «لم تأمر بها الكتب المقدسة، لكن التقليد يعلّمها، والعادة تثبّتها، والإيمان يحفظها».

القديس باسيليوس الكبير (+٣٩٧) كرّر الشيء ذاته، إذ تكلّم عن بعض «العقائد والتعاليم المحفوظة في الكنيسة» التي لم تُذكر في الكتاب المقدّس وإنّما «تقبلناها في سرٍّ مُسَلَّماً لنا من تقليد الرسل»، فوَضْعُ إشارة الصليب بأهمية «الإتجاه في الصلاة نحو المشارق»، و«كلمات الاستدعاء في إظهار خبز الشكر وكأس البركة»، والتغطيس الثلاثي الذي يجري في المعمودية...(أنظر كتابه: في الروح القدس،٢٧/٦٦).

تتضمن إشارة الصليب العقيدتين الأساسيتين بالنسبة الى لاهوت الكنيسة الأرثوذكسية وجوهر إيمانها، أعني عقيدتي الثالوث القدوس والتجسّد الإلهي، وهي تُرسم على الشكل التالي: يضمّ المسيحي الأرثوذكسي أصابع يده اليمنى الثلاث (الإبهام والسبابة والوسطى) إحداها إلى الأخرى، ويضمّ الإصبعين الأخيرتين (الخنصَر والبنصَر) ملصقتين براحة اليد، وثم يرفع يده ويضعها أوّلا على جبينه، ثم ينقلها الى البطن فالكتفين من اليمين الى الشمال، من دون اي عودة الى البطن أو تقبيل لليد. ترمز الأصابع الثلاث المضمومة الى الاعتراف بالإله الواحد المثلث الأقانيم، وأما الخنصَر والبنصَر المضمومَين الى راحة اليد فيرمزان إلى تجسّد ابن الله الذي افتدى العالم بموته وقيامته ورفعه الى الألوهة، وبخاصة يرمزان الى اتحاد الطبيعتين الإلهية والإنسانية في المسيح.

يُصَلِّب المسيحيون بمناسبات عدّة، كما أوحَيْنا سابقاً وأوصى الآباء عموماً، ونلاحظ تالياً أنهم عند ذكر الثالوث القدّوس، أو أي لفظ يتعلّق معناه بالصلب أو السجود أو القيامة أو المجد... يرسمون إشارة الصليب، يرافقها في بعض الأحيان، إحناء للرأس، أو سجدة كبيرة أو صغيرة تسمّى «مطانية» (وهي لفظ يوناني يراد به التوبة)، إذ تُلامسُ أصابعُهم الأرضَ ليدلّوا بذلك أنهم منها، ويطلبون الرحمةَ والخلاص في ما يؤكدون أنهم خاضعون للّه في كلّ شيء.

العلاّمة ترتليانوس أوحى بهذا الترابط بقوله إن المسيحيين يذكرون الثالوث القدوس أثناء رسم الصليب «لأن الإيمان يُختم باسم الآب والابن والروح القدس». وهذا يعيدنا إلى كتب العهد الجديد، حيث يصوّر الرسول بطرس، في رسالته الأولى، «المسيحَ الذي افتدى العالم بدمه الكريم بأنه حملٌ ذبيحٌ ،معروفاً سابقاً قبل تأسيس العالم» (١بط ١:١٩–٢٠) ، مما يعني أن اللّه المثلّث الأقانيم قد رأى، في أزليّته، أن ابن اللّه الوحيد سوف يأتي الى العالم بشراً ليتمم «تدبير الآب» بموته على الصليب من أجل خلاص الذين أخطأوا وابتعدوا عن محبّته. ولذلك نرسم إشارة الصليب في كلّ مرّة يُذكَر اللّه خصوصاً على شكل ثالوث.

ويقترن رسم الإشارة، تالياً، بذكر ألفاظ مثل: «المجد» وغيرها...، ونعلم من خلال العهد الجديد ارتباط صلب المسيح بمجده، فالعبارتان (الصليب والمجد) مترادفتان، خصوصاً في كتابات يوحنا الإنجيلي، فإذا قال يوحنا مثلا: «الآن تمجَّد ابنُ الإنسان وتمجَّدَ اللهُ فيه. إن كان اللّه قد تَمَجَّدَ فيه، فإن اللّه سيمجده في ذاته، ويمجده سريعاً» (يو ١٣:٣١–٣٢)، فهو، بلا شك، يعني أن مجد المسيح الذي كان له عند الآب قبل العالم سيسطع بكامل بهائه إذا ما عُلِّق على الصليب (راجع: يوحنا ١٧:٥).

لهذه الإشارة قوة حياة تنبع من علاقتها بشخص المصلوب، ولذلك يجب أن نرسمها بفهم، بمعنى أن يرافق رسمَها إيمانٌ مطلق بما ترمز إليه أو ما يستدعيها «أي إيمان بكل عقائد كنيستنا الخلاصية، التي نعلنها برسم إشارة الصليب، إضافة إلى رجاء مطلق بمحبة اللّه غير الموصوفة ورحمته، وعزم لا يتزعزع على أن نصلب ذواتنا الخاطئة وأهواءنا، لكي يسعنا أن نقبل نعمة اللّه، ونحيا ضميرياً حياة التجدد والتحوّل الداخليين».

تعلّم الكنيسة الأرثوذكسية أن الإنسان كيان واحد، ولذا تطلب منه، في علاقته باللّه، أن يعمل هذا الكيان الواحد، أن يصلي بفمه وقلبه وذهنه، وأن يرسم إشارة الصليب على وجهه وأن يقف وينحني ويركع أمام اللّه ليرسم بالحقيقة اتصال قلبه ورغبته في الاتحاد به. فلنرسم إشارة الصليب علامة حبنا للّه المثلث الأقانيم الذي أَحبَّنا أولاً بابنه يسوع، ولنقلْ بها، رجاءنا بصدق مواعيده.

أقوال آبائية في الصليب:

للقديس أفرام السوري: لقد نَصَبوا صليبه عياناً على تلة، ثم نزلوا فجلسوا عند أقدامه. فبهذا الرمز صوَّروه جالساً على عرشه بينما هم موطئٌ لقدميه، الجلجلة مرآة لكنيسته التي بناها على ذروة الحق. واليوم واضحٌ انه هو الذي ثبتَ البيعة على الجلجلة... لقد صُلبَ المسيح، يا للسر! بين لصين: واحد منهما كان يجدف عليه والآخر كان يعترف به. هوذا الشر قد تجلى: فشعب اليهود يهزأون بالمسيح، واليوم سائر الشعوب يعترفون به. في الصمت سَخِرَ المسيح من اللص الكافر أما اللص المؤمن فأثنى عليه المسيح وجميع تلاميذه يُعظِّمونه. طوباك ايها المكان الذي تأهلتَ لأن يسقُط فيك عرق الابن. إن الابن بارك الأرض بعرقه ليبطل عرق آدم الذي حلّ في الأرض. طوبى للأرض التي طيّبها بعرقه والتي كانت مريضة فشفاها لأنه نضح عرقاً عليها. مَن رأى قط مريضاً يتعافى بعرق ليس بعرقه!

للقديس يوحنا الذهبي الفم: إصنع هذه العلامة عندما تأكل وعندما تشرب وعندما تجلس، عند نومك وعند نهوضك، عندما تتكلّم وعندما تتنزه، وبوجيز العبارة ارسم إشارة الصليب عند كل عمل، لأن المسيح الذي صُلب هنا على هذه الارض هو في السماوات فإنه لو كان صُلبَ وقُبر واستمر في القبر لكنا نخجل منه، ولكن الواقع أن الذي صُلبَ على الجلجلة قد صعد إلى السماوات .

النباتات في الكتاب المقدس

البلح : ينمو البلح المشهور على شجر النخيل النابت فى واحات سيناء والمناطق الدافئة فى فلسطين، شجرة النخيل مرتفعة وجذعها مستقيم وسعفها شوكية ضخمة ويزيّن شكل سعف النخيل الأعمدة الحجرية الضخمة فى عواصم مصر القديمة وقد غدا سعف النخيل رمزاً من رموز الوطنية فى اسرائيل وعندما دخل يسوع إلى اورشليم على جحش حمل الشعب سعف النخيل مرَحِّباً به (يو١٢:١٣) ، وفي سفر الرؤيا «وإذا جمعٌ كثيرٌ ... متسربلين بثيابٍ بيض وفي أيديهم سعف النخل » (رؤ٧:٩)، (ايوب ١٥:٣٢).

اللوز: إن براعم شجر اللوز بيضاء جميلة وهى احيانا فى فلسطين زهرية بلون القرنفل، يزهر شجر اللوز باكراً قبل غيره من الأشجار وبندقته طيبة الطعم، ذكرت شجرة اللوز مراراً فى الكتاب المقدس وأشهر ما ورد عنها عصا هرون المأخوذة من غصن لوزة أفرخت وأزهرت فى ليلة واحدة (عدد ١٧:٨).

الآس: الآس، ويتوزع فى فلسطين فى أدغال كثيفة ، إن ورق الآس لامع دائم الإخضرار طيب الرائحة وزهره الأبيض الكثير يجعل منه شجيرة تبهج الناظر، يستعمل اليهود الآس فى صنع الستائر لبناء المظلة فى عيد المظال حسبما ذكر فى نحميا (نح ٨: ١٥)، ويذكر اشعيا الآس بين الشجر الجميل الذى سيخلف أشواك البرية (اش٤١:١٩)، (اش٥٥:١٣) .

القمح: كانت الحبوب الطعام الأساسى فى فلسطين قديماً، القمح مصدر الطحين والخبز بينما كانت الشعير زاد فقراء الفلاحين يزرع حب القمح مع بداية المطر فى الخريف ويتم حصاده مع أوائل الصيف، والشعير ينضج قبل القمح، كان الكهنة يستعملون دقيق القمح فى القرابين المقدمة للرب (لو٣:١٧)، (تك ٤٣:٢).

الرمان: زهر الرمان بلونه القرمزى الأحمر يتفارق مع لون أوراقه الخضر، إن ثمار الرمان المدورة هى بحجم البرتقال وقشرها قاس بني اللون ضارب إلى الصفرة، قلب الرمانة مملوء بالحب المغلف بالعصير الملبن ، ونقرأ فى الخروج إن أذيال جبة رئيس الكهنة يجب أن تزين بأشكال رمانات متعددة الألوان ، كذلك تيجان أعمدة هيكل سليمان. (خروج ٢٨:٣٣) ، (١مل ٧:٢٠).

الكتان: نبتة الكتان التى منها يصنع قماش الكتان تبدو بزهرها الأزرق وهى تنمو إلى علو نصف متر، بعد نزع النبتة من الأرض ينقع الجذع فى الماء لتلين أليافه وهذه العمل يدعى تعطين الكتان ويصنع من ألياف الكتان ليس فقط القماش بل الخيطان والشباك وفتائل السرج. (اشعيا ١٩:٩)، (دانيال ١٢:٧).

السنديان: وجد السنديان بشكل ظاهر فى فلسطين فى العصور القديمة وهذة صورة لشجر السنديان (البلوط) الدائم الإخضرار الذى يغطى جبل الكرمل، من المحتمل أن يكون شجر السنديان هو الشجرة الخضراء التى كان الشعب يعبد تحتها الأصنام ويمارس القباحات التى دانها الأنبياء وهناك أيضا نوع آخر من البلوط يسقط أوراقه سنوياً (الملول) وكان منتشرا فى سهل شارون واليوم يوجد فقط على سفوح التلال. (اشعيا ٤١:١٩)، (اشعيا٦٠:١٣).

الكرمة: الكرمة شجرة العنب، وهى شجيرة ذات أذيال ومنتشرة بكثرة فى البلدان الحارة، أصبحت شجرة العنب رمزاً للشعب العبراني بسبب خصائصه وكثرته فى أرض الموعد، يؤكل العنب طازجا أو مجفّفاً ويسمى عندئذ بالزبيب، أو يعصر او يشرب خمراً ،عندما تنضج عناقيد العنب يجمع ويعصر بالقدم وهي عادة قديمة ثم يترك ليختمر فى خوابٍ فخارية أو فى ظروف من جلد الماعز (يو١٥:٥)، (اشعيا ٣٤:٤).

الكزبرة: الكزبرة عشبة سنوية يتراوح طولها بين ربع المتر ونصف المتر عرفها شعب اسرائيل فى مصر وشبّهوا المنّ فى البرية ببذر الكزبرة، استعملت عشبة الكزبرة منذ القديم فى الطبخ والطبابة. (خر١٦:٣١).

أرز لبنان: أرز لبنان الشهير شجر مرتفع مهيب صنوبري الثمر يقتصر وجوده على جبال لبنان، بقي منه إلى اليوم غابات صغيرة، وجد الأرز بكثرة قديما فى لبنان وكان ألوف العمال يصعدون إلى الجبال لقطعه وحمل جذوعه إلى البحر ليجر بالسفن وينقل بعد ذلك من ساحل فلسطين إلى مدينة أورشليم حيث استعملوه فى بناء هيكل سليمان، غطى سليمان الهيكل من داخله كله بألواح خشب الأرز وغشّاه بالذهب؛ والأعمدة الداعمة السقف كانت من جذوع الأرز. (١ملوك ٥:٦–١٠).

التين : كان التين من الفاكهة المهمة فى أزمنة الكتاب المقدس وشجره ينمو غالبا على جوانب الطرقات وقرب البيوت كما ينمو حول الكروم، ورد ذكر التين مراراً فى الكتاب المقدس، فإن آدم وحواء بعد سقوطهما خاطا أوراق تين وصنعا منها مآزر (تك٣:٧) . واستعمل يسوع شجرة التين فى عدد من أمثاله ، وخاصة عندما شبّه محفل اليهود بالتينة العقيمة التي بدون ثمر. (متى ٢١:١٩). ينضج التين فى الصيف بين ورقة المشحم الذى يتساقط فى الخريف وهناك نوع من فصيلة التين يسمى الجميز، وقد صعد زكا إلى جميزة ليشاهد الرب يسوع (لو١٩:٣–٤).

الزيتون: شجرة الزيتون من الأشجار الرئيسية فى فلسطين القديمة وثمرها من أفضل الغلال، كانوا يأكلون الزيتون مكبوساً ويعصرون قسماً كبيرا منه لإستخراج زيته الثمين، يتنوع استعمال الزيت من الطبخ إلى الإنارة وهو مفيد أيضا فى طقس المنطقة الحار كمرهم لترطيب الجسم؛ جاء فى الكتاب المقدس أن الزيت كان يستعمل لمسح بعض الناس للقيام بمهام معينة من هنا الواقع الرمزي لمسحة الروح القدس. (خروج ٣٠:٢٤)، (قضاة ٩:١٥).

الشوك والعوسج: الشوك والعوسج كثير الإنتشار فى الأراضى الجافة مثل أرض فلسطين وأزهاره مثل السلبين المريمي، يمكن أن تكون جميلة لكن وخزاته مؤلمة ، ربما كان هذا النوع من الشوك فى فكر يسوع عندما ضرب مثل الزارع ؛ ينمو الشوك بكثرة على أطراف حقول القمح وبسرعة يمتد ويخنق سنابل القمح الصغيرة، يقوم المزارعون بجمع الشوك ويحرقونه، هذه الصورة من القول نراها فى الكتاب المقدس عند الحديث عن مصير الأشرار (لو٨:٤–١٥).

شجرة اللبان: جذع شجرة اللبان يتميز بلحائه الرقيق وهو ينمو فى أفريقيا وجنوب الجزيرة العربية والهند، عندما يشق لحاء شجرة اللبان يسيل منها عصير أصفر مُخْضَرّ يجمعونه ويبيعونه بخوراً، يحرق فى معابد ديانات الحضارات القديمة ومنها العبرانية، حمل المجوس اللبان مع الذهب والمرّ وقدموه هدية للرب يسوع؛ المر هو أيضاً شجيرة تنبت فى أفريقيا وتخرج عصيرها البخوري عند شق ساقها. (ارميا٤١:٥).

البردى: نبات قصب البردى أعطى اسمه إلى الورق الذى يصنع منه منذ القديم، ينمو قصب البردى فى مستنقعات الحولة فى شمال فلسطين كما ينمو أيضا فى دلتا النيل فى مصر، ينمو البردى ليبلغ الثلاثة أمتار طولا أو أكثر وتتوج رأسه زهرة خضراء مشعرة كانوا يقطعون ساق البردى المثلثة الزوايا ويجعلون من قشورها شرائح يصفونها طبقتين عمودياً وأفقياً ويضغطونها معا ليصنعوا الورق المشهور، ولربما كتبت معظم أسفار الكتاب المقدس أصلا على هذا الورق. (ايوب ٨:١١)، (اشعيا ١٨:٢).

الأقحوان الأكليلى: من المستحيل معرفة اية زهرة أشار اليها يسوع فى قوله تأملوا زنابق الحقل كيف تنمو ربما قصد اي واحدة من زهور فلسطين مثل شقائق النعمان أو البابونج أو الأقحوان الأكليلى الأصفر. (متى ٦:٢٨–٣٠).

السذاب: السذاب أو الفيجن ينمو إلى علو متر تقريبا ويتكثف كأيكة (غيضة) صغيرة، لاوراقه الرمادية الخضراء أريج قوي بسبب الزيت الذى فيها، استعمل السذاب منذ الأزمنة القديمة كمادة مطهرة وكعشبة ذات نكهة شديدة، ورد ذكرها مرة واحدة فى الكتاب المقدس عندما وبخ يسوع الفريسيين على تعشير السذاب وتركهم القضايا الروحية الكبرى. (لو١١:٤٢).

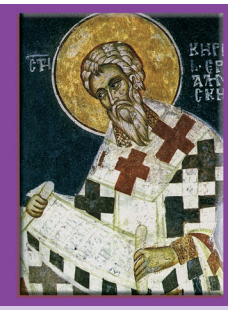

العظات الثمانية عشر لطالبي العمّاد

لأبينا القديس كيرلّس

رئيس أساقفة أورشليم

العظة السادسة

في وحدانية الله: أومن بإله واحد

«... انّما اللّه فيك وليس آخر، ليس إله غيرَه. إنّك لإله متحجّب، يا إله اسرائيل المخلّص ... إنكم لا تخزون ولا تخجلون الى دهور الأبد ، لأنه هكذا قال الرب خالق السماوات ، اللّه جابل الأرض وصانعها ... إنّي أنا الرب وليس آخر» (أشعيا ٤٥:١٤-١٨)

١٠) ـ في تعدّد الآلهة:

إنّ اللّه من العظمة بحيث لو أني تحوّلت كلّي الى لسان لما استطعت التحدّث عنه كما يليق. وحتى لو اجتمعت الملائكة بأسرها، لما استطاعت أن تمجّده كما يستحق. ومع أن هذا الإله في منتهى الصلاح والعظمة، فقد تجاسر الانسان ان يقول للحجر الذي نحته: «أنتَ إلهي» (اشعيا ٤٤:١٧). فيا لَلعمى المريع الذي يهوي بالانسان من عظمة هذا مقدارها الى انحطاط هذا عمقه ! الخشب الذي خلقه اللّه وسقّاه بالمطر ، وسوف تحرقه النار وتحوّله الى رماد، هذا الخشب يُدعى اللّه ، واللّه الحقيقي يُزدرى به. لقد تجاوزت خباثة الوثنية الحدود: فقد عبدت القط والكلب والذئب بدلاً من اللّه ؛ والأسد الذي يفترس الإنسان ، عُبِدَ بدلاً من اللّه محبّ البشر. وعُبد الثعبان والتنين اللذان كانا سبب خسراننا الفردوس ، مما أدّى بنا إلى الإبتعاد عن خالق الفردوس! إنني أخجل أن أقول ـ ومع ذلك سأقول ـ إنّ البعض عبدوا النبات ، وأُعطيَ الخمرُ ليفرّح قلب الإنسان (مز١٠٣:١٥)، فعُبد «**باخوس**» (إله الخمر عند الرومان) بدلاً من اللّه، وخَلَقَ اللّه القمح عندما قال: «لتنبت الأرض نباتاً عشباً يبزر بزراً بحسب صنفه» (تك١:١١) ، حتى «يسند الخبزُ قلبَ الإنسان» (مز١٠٣:١٥) ؟ فكيف تُعبَد «**سيريس**» (إلهة الزراعة والأرض) ؟ وكيف أن النار التي تتولّد من احتكاك الأحجار ، لا تزال تكرّم حتى اليوم؟ وكيف يُعتبَر «**ڤولكان**» (إله البراكين والحرائق والحدّادين) صانع النّار ؟

١١) ـ تعدّد الآلهة يدعو الى مجيء الابن:

فمن أين أتى تعدّد الآلهة عند اليونانيين؟ اللّه لا جسد له ، فكيف ينسبون الزنى الى الذين يسمّونهم آلهة؟ إني أضرب صفحاً عن تحوّل «**جوبتير**» الى بجعة ، وأخجل من الإشارة الى تحوله إلى ثور ، لأن عجيج الثور لا يليق بإله! لقد وُجدَ إله الإغريق زانياً ، فلم يخجلوا منه ؛ ولكن إذا كان زانياً فهو ليس إذن بإله. إنهم يتحدّثون عن موت آلهتهم ، وعن أهوائهم وغيرتهم بعضهم من بعض ؛ فانظر من أية كرامة سامية سقطوا! هل نزل اللّه من السماء بدون سبب؟ ألم يأت ليشفي جرحاً كان هكذا عظيماً؟ جاء الإبن ليُخبر عن الآب ، فهل كان مجيئه باطلاً لذلك؟ لقد عرفت ما هو الدافع الذي حدا بالابن الى النزول من عن يمين الآب.

كان الآب غير معروف، فكان لا بدّ للابن من أن يصلح الأمر. كان لا بدّ للذي «به كان كل شيء» (يو١:٣) ، أن يقدّم لرب الكون الخليقةَ بأسرها. كان لا بدّ من شفاء هذا الجرح. هل كان هناك ما هو أخطر من هذا المرض: أن يُعبد الحجر بدلاً من اللّه ؟

١٣) ـ خطأ الثنائية :

لم ينشر الشيطان هذه الاباطيل عند الوثنيين وحدهم ، ولكن بين كثير ممن يدّعون زوراً بأنهم مسيحيون ، مستغلين اسم يسوع العذب ، ليحاولوا ، بكل كفر ، أن يفرّقوا بين اللّه وخلائقه. إني أتحدث عن أبناء الهراطقة ، أصحاب الاسم الكريه والبعيدين عن اللّه الذين يتظاهرون بأنهم أصدقاء المسيح ، ولكنهم في الواقع اعداؤه. لأن الذي يجدّف على ابي المسيح هو عدوّ الابن أيضاً. لقد تجرأوا ونادوا بإلهين: إله للخير وإله للشرّ. يا لَلعمى المريع! إن كان هناك إله فهو لا يمكن أن يكون إلا إلهاً صالحاً ، إذ هو ، إن لم يكن صالحاً ، فلا يمكن تسميته إلهاً ، لأن الصلاح هو من خصائص اللّه. وبما أن اللّه وحده يخصّه الصلاح والخير والقدرة، فلا بدّ لهم من الاختيار بين أمرين: فإما أن يتوجّهوا الى اللّه لقدرته ، أو أن يجرّدوه من كل قدرة وبالتالي فلا داعي لهم للتوسّل اليه.

١٤) ـ سيمون السحر مصدر كل هرطقة:

إنّ سيمون الساحر مصدر كل هرطقة ؛ هذا الذي جاء عنه في أعمال الرسل (اع ٨:١٨-٢١) أنه أراد أن يشتري بالمال نعمة الروح القدس المجانيّة ؛ فسمع هذا القول: « لا **حظَّ** لكَ في هذا الأمر ولا نصيب» (اعمال ٨:٢١). وعنه جاء كذلك: «خرجوا من عندنا ولم يكونوا منّا ، لو كانوا منا لظلّوا معنا» (١يو٢:١٩). فهذا الرجل، بعدما طرده الرسل ، جاء الى رومه حيث استمال اليه زانية إسمها «**هيلين**» ، وتجاسر على الإدّعاء، مجدّفاً، بأنّه هو الذي ظهر على جبل سيناء كآب ، ثم ظهر لليهود كيسوع المسيح، لا في جسد حقيقي بل في ظاهر الجسد، وأخيراً كالروح القدس الذي وعد المسيح بإرساله كمُعَزٍّ. **لقد خدع مدينة رومه بكاملها** ، بحيث أن الامبراطور كلوديوس أقام له تمثالاً نقشت عليه باللغة اللاتينية هذه العبارة التي يمكن ترجمتها: « **الى سيمون اللّه القدوس**».

١٥) ـ بطرس وبولس يدحضان ضلال سيمون الساحر:

ولما كان هذا الضلال ينتشر في نطاق واسع ، فقد جاء بطرس وبولس ، رئيسا الكنيسة، الى روما ووضعا حدّاً له. ذلك أنهما أسقطا جثّة هامدة ذاك الذي كان يدّعي أمام الجماهير بأنه الإله سيمون ؛ اذ هو كان قد صرّح بأنه سيرتفع الى السماء ، وينطلق في الهواء على مركبة شيطانية. فركع خادما الرب مُعْرِبَيْن بهذه الكيفية عن ذلك الأتفاق الذي سبق ليسوع أن تحدّث عنه بقولهِ: «اذا جمع اثنان منكم في الأرض صوتيهما وطلبا حاجة ، حصلا عليها من أبي الذي في السموات» (متى١٨:١٩). فقد كان إتفاقهما في

الصلاة كسهم سُدِّدَ الى الساحر ، فأرداه جثّة هامدة على الأرض. لا تستغرب منْ ذلك حتى لو كان في ذلك ما يدعو الى الاستغراب. لأن بطرس يقبض مفاتيح السماوات (متى١٦:١٩)، ليس في ذلك ما يدعو الى الإستغراب أيضاً. لأن بولس كان قد اختُطِفَ الى السماء الثالثة والى الفردوس ، وسمع كلمات سريّة لا يحلّ لإنسان أن ينطق بها (٢كور١٢:٢-٤). لقد أسقطا من علوّ السماء الى الأرض السُفلَى. لقد كان هذا الرجل **تنّين الخبث الأوّل** ، فلمّا قُطِعَ رأسه نبتت من جذر الشرّ هذا رؤوسٌ كثيرة.

١٦) ـ ضلال الأبيونيين ومرقيون:

وعمل **كيرنتوس** أيضاً على خراب الكنيسة ، وكذلك **ميناندر وكربوقراط والأبيونيون ومرقيون فمُ الكفر**. ذلك أنه بَشَّر بإلهين مختلفين أحدهما صالح والآخر عادل ، مناقضاً ما قاله الابن: «يا أبت العادل» (يو١٧:٢٥). وكان يقول كذلك إن الآب هو غير الذي خلقَ الكون ، مخالفاً بذلك قول الإبن: «اذا كان العشب الذي يوجد اليوم في البرّ ، ويطرح غداً في التنور ، يلبسه اللّه هذا الشكل» (لو١٢:٢٨) ، و«إنه يطلع شمسه على الأشرار والأخيار ، وينزل غيثه على الأبرار والفجّار» (متى ٥:٤٥). ويعتبر مرقيون هذا المصدر الثاني للشرّ ، إذ أنه اختار شهادات من العهد القديم ودحضها بشهادات من العهد الجديد. وكان بذلك أوّل من تجرّأ على فصل العهدَيْن ، تاركاً الكرازة بكلمة الإيمان بلا دليل، لأنه كان قد تخلّى عن اللّه. وبما أنه لم يعد هناك مبشرٌ للإيمان ، فقد أراد تقويض إيمان الكنيسة.

١٧) ـ ضلال پاسيليدس وڤالنتينوس:

ثم أعقبه پاسيليدس السيء الذكر ، وهو شخص فاسق دعا الى الفسق. وجاء أيضاً ڤالنتينوس معيناً للشر ، فنادى بوجود ثلاثين إلهاً. لقد كان الوثنيون يعترفون بعدد قليل من الآلهة. أما هذا الذي كان يدّعي أنه مسيحي ، فقد بلغ به الضلال الى حدّ المناداة بثلاثين إلهاً. فقد كان يقول أن فيتوس (أي العمق) وهذا لائق بمن هو في أعماق الشرّ أن يبدأ تعليمه من العمق، قد ولد سيغا (أي الصمت). ومن سيغا ولد الكلمة. لقد كان فيتوس هذا شراً من نرقس الذي للإغريق ، إذ هو تزوّج من إخته. لأن فالنتينوس كان يعلّم بأن سيغا كانت بنت فيتوس. هل ترى كيف كانوا يخلعون على بدَعهم طابع المسيحيّة! تريّث قليلاً وسوف تكره فكرهم. فقد كان فَالنَتينوس ، يقول فيتوس، ولد ثمانية «أيونات» ، ومنهم ولد عشرة ، ومن العشرة وُلد إثنا عشر ذكراً وأنثى. ولكن ما هو دليلهم؟ هلاّ ترى سخافة هذه التأكيدات؟ وما الدليل على الثلاثين «إيوناً»؟ أنه يجيب على ذلك بقوله أنه مكتوب: عندما إعتمد يسوع كان عمره ثلاثين عاماً (لو٣:٢٣) ؛ فهل في هذا دليل؟ حتى لو افترضنا أن يسوع عندما إعتمد كان له من العمر ثلاثون عاماً، هل يوجد خمسة آلهة لأنه كثّر خمسة أرغفة لخمسة آلاف رجل؟ (متى١٤:١٣-٢١)، أو هل لا بدّ من وجود إثني عشر إلهاً لأن عدد تلاميذه كان إثني عشر؟

١٨) ـ المسيح بحسب تعليم فالنتينوس:

وهذه التّرهات ليست شيئاً بالنسبة لأقوال كفرة أخرى. فقد تجاسر وقال: إن كمال الآلهة هو كائن «أنثى ـ ذكر» يُدعى الحكمة. يا له من كفر! لأن المسيح هو «حكمة اللّه» (١كور ١:٢٤) وإبنه الوحيد. وهذا الكافر يحقّر في تعليمه حكمة اللّه ويحطّها الى منزلة امرأة ، الى العنصر الثلاثين ، الى آخر مخلوق. ويضيف ان الحكمة سَعَت لترى الإله الأول ؛ وإذ لم تحتمل بهاءه ، سقطت من السماء وأُلقيَ بها الى المرتبة الثلاثين فتنهدت، ومن دموعها ولد الشيطان ، ومن بكائها على سقوطها كوّنت دموعُها البحر. أترى هذا الكفر! كيف يتولّد الشيطان من الحكمة والفطنة من الشرّ ، والنور من الظلمة؟ ويقول كذلك إن إبليس وَلَدَ آخرين ، بعضٌ منهم خلق العالم. وقد جاء المسيح ليُبعد الناس عن خالق العالم.

١٩) ـ أُهرب من الهراطقة:

إسمع ماذا يقولون عن شخص المسيح يسوع ، لكيما تزداد كراهية لهم. إنهم يعلّمون أن الحكمة ، بعدما سقطت ، اجتمعت الإيونات التسعة والعشرون ـ لكيما لا يبقى العدد الثلاثون غير كامل ـ وكوّنت المسيح. وهم يقولون أن المسيح هو ذكر وأنثى في نفس الوقت. هل يوجد كفر أكبر من ذلك؟ إني أصف لك ضلالهم حتى تمقتهم بالأكثر. أُهرب من كفرهم ، ولا تسلّم على أيّ هرطوقي ، لئلا تشترك معهم في أعمال الظلمة (أفسس٥:١١). لا تكن فضولياً ولا تحاول أن تسمع الى أقوالهم.

٢٠) ـ ضلال ماني:

أُمقت كل الهراطقة ، وخاصة ذاك الذي يُدعى بحق «**ماني**» الذي قام من زمن ليس ببعيد في عهد «**پروبُس**». لقد بدأ ضلاله منذ سبعين عاماً ، ولا يزال الى يومنا هذا ؛ أحياء رأوه بأعينهم. (القديس كيرللس الأورشليمي عاش ما بين ٣١٤ ـ ٣٨٧) ، فامقت إذن الكفر الذي كان يسود منذ وقت قريب. وامقت ، بسبب هذه العقائد الكافرة ، صانعَ الخبيث ومُستودع كل كفر ، وبحيرة الأوحال، الذي جمع فيه كل هرطقة. وإذ أنه أراد أن يتفوّق في الشرّ قَبل كل هرطقة ملأى بالتجديف ، وربط بينها في هرطقة واحدة بحيث أنه خرّب الكنيسة ، أو بالحري أهلك مَن كانوا خارجاً عن الكنيسة ؛ إذ كان زائراً كالأسد يفترس كل من يجده (١بط ٥:٨). لا تُبال بكلامهم العذب ولا بإتضاعهم المزعوم ، فإنهم حيّات «أولاد الأفاعي» (متى٣:٧). يهوذا أيضاً قال: «السلام يا معلّم» ، وهذا لم يمنعه أن يكون خائناً (متى ٢٦:٤٩) ؛ فلا تقبّلهم واحفظ نفسك من سمومهم.

٢١) ـ تعاليمه الكاذبة:

ولئلا أبدو أني أتهمه باطلاً ، سنرى مَن هو **ماني** وما هي تعاليمه. ولو أردنا أن نسرد كل ما عمل وكتب ، لقضينا العمر كله في عرضه بجدارة. فتذكّر بهذا لكي يكون لك عوناً في حينه ـ ما نقوله الآن وما قلناه سابقاً ـ حتى يعرفه مَن لم يسبق لهم معرفته ، ويتذكّره مَن سبق لهم معرفته. ماني ليس من أصل مسيحي ، حاشا! ولا هو كسيمون (الساحر) محروم من الكنيسة ، لا هو ولا معلّموه ؛ لأنه سرق شرور الآخرين ونسبها الى نفسه، وإليك بأية كيفيّة:

التتمة في العدد القادم

الإفخارستيّا (المناولة المقدسة) هي إتحادنا الحقيقي بالمسيح الإله

المناولة دواء الخلود

الإفخارستيا مدخل لكل الأسرار، هي سر الأسرار، كل الأسرار تتمحور حول سر الإفخارستيا. الكنيسة تتماهى مع الإفخارستيا. هذا السر يعود بنا تاريخياً إلى كلام الرب في بستان الزيتون «أبعد عني هذه الكأس، ولكن لا كما أنا أريد بل كما أنت تريد» (مر١٤:٣٦). كلام الرب هذا أسس لسر الإفخارستيا، فبتقديم نفسه ذبيحةً محيية لأجلنا جامعاً بها كل العالم. هكذا بسر الإفخارستيا نصبح كلنا جسداً واحداً «ليكونوا واحد» مكونين جسد المسيح الحيّ كأعضاء روحيين فاعلين في الكنيسة نعمل منذ الآن على الأرض لنتذوق مسبقاً البُعد الأخروي للكنيسة أي الحياة الأبدية التي يكون كمالها بالإفخارستيا التي تُوحدنا مع اللّه وهي غاية حياتنا الروحية، لذلك فالإفخارستيا تأتي بعد المعمودية (التطهير) والميرون (الاستنارة) ليتم كمال كل شيء مع الإفخارستيا (التأله).

لذلك يقول القديس مكسيموس المعترف بأن «قمة التدبير الإلهي هو الإفخارستيا»، الإفخارستيا هي اتحاد كل الأسرار التي تستمد معناها ووجودها من الإفخارستيا، فالمعمودية كانت تتم داخل الإفخارستيا ولذا تبدأ «بمباركة مملكة الآب.....» وكل بنية المعمودية هي بنية إفخارستية، والشيء نفسه ينطبق على الزواج حيث كان يتم ببركة الأسقف مثل الإفخارستيا، والمعمودية هدفها أن تدخلنا إلى القداس الإلهي أي المناولة «أنتم الذين بالمسيح اعتمدتم، المسيح قد لبستم» ومن هنا علينا مباشرة مناولة الأطفال بعد المعمودية وعدم الانتظار حتى يصلوا إلى سن أكبر لأنه عندها تفقد المعمودية أهميتها الأولى والأساسية، ولا يصبح هذا الطفل عضو حقيقي في كرم المسيح.

بالإفخارستيا لا يوجد عدة كنائس بل كنيسة واحدة جامعة، لأننا كلنا نلتئم حول الذبيحة الواحدة (جسد الرب ودمه) أينما كنا وأينما ذهبنا لأننا بها نتحد مكونين هذا الجسد المقدس. الإفخارستيا في حياة المسيحي غاية وليست وسيلة، نحن نجاهد بالنسك حتى نصل إلى النهاية أي الاتحاد باللّه بالإفخارستيا، لذلك الإفخارستيا هي صورة (إيقونة) لملكوت اللّه بها نتذوق مسبقاً هذا المجد الإلهي، وفي حديثنا هذا نحن لا ننظر إلى الإفخارستيا نظرة أحادية الجانب مقابل كل الأسرار الباقية بل كمال الأسرار كله يكون بالإفخارستيا، ولذلك لا نبالغ عندما نقول أن الكنيسة تتماهى مع الإفخارستيا. لأنها إيقونتان للملكوت في هذا العالم.

القديس أغناطيوس الإنطاكي عرَّف الكنيسة بأنها «**جماعة إفخارستية**» انطلق قديسنا في تعريفه هذا من إدراكه الأهمية الكبيرة للإفخارستيا، دون سواها، في خلق الرابط المتين القوي بين كل أعضاء الكنيسة الواحدة، فحيث الإفخارستيا هناك الجماعة المؤمنة المتحدة بالمسيح وهذا هو هدفنا الرئيس، ولكن عندما يفقد العنصر الإفخارستي مكانته الأساسية ويتحول من غاية إلى وسيلة يفقد العنصر الشفائي في معالجة نفوس المؤمنين وجعلهم متحدين مع اللّه. سر الإفخارستيا، بعنصريه التاريخي (حدث وموت وقيامة المسيح) والمادي الفيزيائي (تحول الخبز والخمر إلى جسد الرب ودمه) يجعلنا ننتقل من هذه الأرض إلى الحياة الثانية ونعيش منذ الآن المجيء الثاني، وهذا ما نسمعه من الكاهن عند تلاوته أفشين التقدمة «ونحن بما أننا ذاكرون هذه الوصية الصليب.... والمجيء الثاني المجيد أيضاً». كل هذا يجعلنا نشعر بأهمية هذا السر وبأهمية الاستعداد الجيد قبل المناولة كي نصبح هياكل للروح القدس ولا يكون لنا دينونة «إنه جمرٌ يحرق غير المستحقين» وهذا كله يتطلب جهاد مستمر قبل الأقدام على المناولة «بخوف اللّه وبإيمان ومحبة تقدموا» أي بالاعتراف «التوبة واليقظة المستمرة كي نتطهر ونستنير ثم نتأله» ومن هنا نعلم مجيء سر الإفخارستيا بعد المعمودية والميرون وليس قبلهما.

القديس كيرللس الإسكندري

أكثر من ذلك، يجب علينا أثناء القداس الإلهي عيش هذه الأحداث التاريخية وليس فقط تذكّرها فنُصلب ونموت مع المسيح ونتذوق القيامة. بل أيضاً نشعر بهذا البُعد الأخروي لمجيء المسيح «المجيء الثاني». عندها نعيش على الأرض ولكن كأننا في السماوات نعاين النور الإلهي. وهذا ما يسميه القديس مكسيموس المعترف «بحركة نفس الإنسان نحو اللّه» أي جهاد الإنسان المسيحي حتى يجعل الذهن والقلب متحدين بيسوع بالإفخارستيا. عندها يتقدس هذا الإنسان ويصل لغاية الحياة المسيحية ويقدس كل ما حوله، الناس والطبيعة، أي يتم تجلي نعمة اللّه غير المخلوقة، من خلال الإنسان القديس، بكل الخليقة.

يقول القديس كيرللس الإسكندري في هذا السياق: «إذا مزجنا معاً قطعتين من الشمع فإن كلاً منهما تبدو مسبوكة تماماً في الأخرى, وهكذا في رأيي مَن يقبل جسد المسيح مخلصنا ويشرب دمه الكريم يصير واحداً معه كما يقول الرب نفسه. فإنه يصير مسبوكاً وممتزجاً معه بالتناول حتى أنه يكون في المسيح والمسيح يكون فيه. وهذا ما يعلمنَا إياه الرب في إنجيل القديس متى حينما يقول: يشبه ملكوت السموات خميرة أخذتها امرأة وخبأتها في ثلاثة أكيال دقيق حتى اختمر الجميع... والقديس بولس يقول إن خميرة قليلة تخمر العجين كله.وهكذا فإن أقل جزء من الإفخارستيا ينتشر في جَسدنا كله ويملأه بطاقته الخاصة, وهكذا يصير المسيح فينا ونحن فيه» .

الأرثوذكسيّة
قانون إيمان لكل العصور
(١٥)

الأب: أنتوني م. كونياريس

الرسل الأطهار

قاعدة الأيمان

تراب:

يخبرنا الكتاب المقدَّس أنّ اللّه جبَلَ الإنسان من أحقر مادة في العالَم، وهي متوفّرة جداً كما أنّها ليست لها قيمة: «أنتَ تراب وإلى التراب تعود» (تك٣:١٩). هذه الكلمات التي خاطب بها اللّه آدم بعد خطيئته تُرينا أن الإنسان جُبلَ من الأرض مثل باقي الحيوانات. الإنسان من الناحية الطبيعيّة جزء مخلوق من الأرض. لا يوجد مَن يُنكر أن نَسَبَه إلى الأرض وإلى الحيوانات طبيعيّاً: «جبل اللّه الإنسان من تراب الأرض».

ولكن نُسجَت في طبيعة الإنسان أشياء جعلته أكثر من تراب الأرض. إن كَرامة الإنسان هي في حقيقة أنه خُلِقَ على صورة اللّه. تعترف الكنيسة الأرثوذكسيّة وتُقِرّ بهذا في كلّ خدمة ليتورجيّة. يُبَخِّر الكاهن أولاً أمام المذبح، ثمّ أمام أيقونة السيِّد المسيح والقدِّسين ثُمَّ يدور ويُبَخِّر أيقونات اللّه الحيَّة ، أعضاء الجماعة المُؤمنين. إن الكاهن بعمله هذا يُلقي بالاحترام ويُكرّم صورة اللّه الموجودة في كل إنسان. الإنسان ليس تراباً فقط، إنه أيضاً صورة اللّه ؛ إنه ليس حيواناً فقط ، إنه ابن اللّه، قال الفيلسوف كارليل Carlyle ذات مرّة:

«إنّني لا أعترض ، حتى لو كنتُ مسيحيّاً على ما يُقال إن الإنسان مُتطوّر عن أشكال لحيوانات سابقة له ، أو القول إن القرد جَدٌّ له ، أو إن أبو ذنيبة من أجداد أجداده. (يتحوّل شكل ابو ذنيبة من يرقة ليصبح بصورة ضفدع) ، ماذا كنتُ ، هذا يُسأل عنه العلم ، ولكن اعتراضي هو على شيء آخر ، إن اعتراضي هو بخصوص طبيعة الإنسان ، اعتراضي هو على القول بأن طبيعتي وطبيعة أي إنسان آخر هي مثل أبو ذنيبة. إن أردتَ أن تحدّد سرّ الإنسان ، وأن تُعَرِّف ماذا كان في فكر اللّه من جهة الإنسان، وأنه نَفَخَ فيه ، فلن تستطيع أن تقول: "إنه أكثر قليلاً عن أبي ذنيبة" ،ولكن يجب أن نقول: "إنه أقل قليلاً عن اللّه" . وبكلمات أُخرى، لا يمكن أن تُعَرِّف الإنسان على أُسُس بيولوجيّة ، ولكن يجب أن تُعَرِّفه على ضوء القصد والهدف من خلقَته».

يَجبَ في الواقع أن ندخل إلى مستوى آخر ، إن سرّ الإنسان يمكن أن يُفهَم فقط إن وضعناه بالمقارنة بمَن أعطاه الحياة ودعاه باسمه وضَحَّى بابنه الوحيد على الصليب لأجله ، ولن يستريح إلى أن يخرجه من عُزلَته ومن جنونه ومن خوفه ومن جريمته ، ويعود به ثانية إلى منزله وإلى مكان سلامه».

إذا أردنا أن نَعرف من هو الإنسان ، فلا يجب أن نسأل من أين أتى من الوجهة الوراثيّة الحيويّة، فالكتاب يقول إن اللّه يستطيع أن يقيم من الحجارة أولاداً لإبراهيم، ولكن علينا أن نسأل ما هو الهدف الذي لأجله دعاه خالقه إلى الوجود، وصيَّره ابناً له. قال يسوع:«يا أبتاه أُريد أنّ هؤلاء الذين أعطيتني يكونون معي حيثُ أكون أنا، لينظروا مجدي الذي أعطيتني لأنّك أحببتني قبل إنشاء العالم» (يو ١٧:٢٤). ويقول القديس يوحنا في رسالته الأولى: «لكننا نعلَم أنه متى أُظهِرَ نكون مثله لأننا سنراه كما هو» (١يو٣:٢). في ضوء هذه الدعوة العُليا لرؤية اللّه والبقاء معه كل الأبد، يجب أن ننظر: مَن يكون الإنسان ؟

إنّ الكلمة الإنجليزيَّة anthropid والتي تعني: "شبيه بالإنسان" هي مشتقّة من الكلمة اليونانيّة anthropos والتي تعني: "مخلوق ينظر إلى أعلى" ، والتي تتميّز بالضدّ للحيوان الذي طبيعته هي النظر إلى أسفل. هذا دليل على أنه لا يمكننا الإجابة على السؤال: "**من هو الإنسان؟**" بالتطلُّع إلى أسفل فقط والبحث عن الحلقة المفقودة التي تربط الإنسان بالحيوان، ولكن أيضاً بالنظر إلى فوق لنكتشف الحلقة المفقودة التي تربط الإنسان باللّه، لأن الإنسان إنّما خُلِقَ لينظر إلى فوق. هذا هو الجزء المميّز لإنسانيّته.

إن بَحثنا على الرابطة التي تربطنا بالبهائم ، فبالأولى علينا أن نبحث عن الرابطة التي تربطنا باللّه. إن بَحثنا عن الرابطة التي تخبرنا عن مصدر الجزء الأسفل من طبيعتنا والمشتركة بيننا وبين الحيوانات، فبالأولى علينا أيضاً أن نبحث على الرباط الذي يدل على مصدر الجزء العلوي في طبيعتنا والذي نتشارك فيه مع اللّه.

إنّ الذين يبحثون عن الحلقة المفقودة بين الإنسان والحيوان يخبروننا أن هذه الحلقة لابدّ أن يكون لها شيء مُشتَرك لكليهما. وعلى نفس النمط، نحن الذين نبحث عن الحلقة بيننا وبين اللّه نقول إن هذه الحلقة لابدّ أن يكون لها شيء مُشتَرَك لكلينا، لابدّ أن تكون إنسانيّة وإلهيّة، إنسان وإله معاً.

مَن يكون الحلَقة المفقودة؟ أين نبحث عنه؟

يجيب الأسقف فولتين شين Fulton Sheen عن هذا السؤال بطريقة فذَّة فريدة ويقول:

«وأين نبحث عن هذه الحلقَة ؟ هل في كهف؟ نعم! حقٌّ للعالَم أن يبحث عن إنسان كهف Cave Man ، ولكن للأسف يبحث عنه العالم في الكهف الخاطىء، إن كنّا نبحث عن النموذج الأصلي

للإنسان، فلا يجب علينا أن نبحث عنه في كهف يافا Java ولكن في كهف بيت لحم، واسم إنسان الكهف المسيح، والضياء الذي يسطع في عينيه ليس ضوء حيواني يُشرق على فَجر العقل ، إنما نور إله سماويّ آتٍ إلى ظلمة الإنسان ..».

إن وُجد للإنسان رباط طبيعي يربطه بالمملكة الحيوانيَّة فله أيضاً رباط روحي يربطه باللّه، والمسيح هو الذي يربطنا باللّه. إنّه رابطنا مع العليّ.

قال بيلاطس عن يسوع: «هوذا الإنسان!» إنّ الكلمة التي استخدمها بيلاطس هي الكلمة اليونانيَّة العاديَّة للكائن البشري ho anthropos، ولكن مما يدعو للإثارة أنه ليس بعد مدّة طويلة من قصَّة الصَليب أن استخدم المفكّرون اليونانيون نفس التعبير للإنسان السماوي، الإنسان المثالي ، الإنسان الكامل ، الأنموذج البشري. عندما نتطلَّع إلى يسوع، فنحن ننظر إلى الإنسان المثالي، النَمط للبشريَّة. عندما نتطلّع إلى يسوع، الإنسان الإله، فإننا نرى أنفسنا كما يريدنا اللّه أن نكون. الإنسان يكون إنسان حقّاً فقط بفضل علاقته باللّه في المسيح. اللّه صار جسداً في المسيح حتى يمكن من

أنا هو الطريق والحق والحياة ...
لقد أتيت ليكون لكم أفضل ...

خلال هذا الإنسان ، المسيح، أن يجد كل الناس أنفسهم ، أنفسهم الحقيقيّة. يَرى العهد الجديد في المسيح صورة اللّه الحقيقيّة والتي نحن نتحوّل على مثالها.

المزامير وأهميتها - للقديس باسيليوس الكبير

«كلّ الكتاب هو موحى به من اللّه ونافع للتعليم» (٢تيمو ٣:٦). كما تُمنح الأدوية المناسبة لعلاج أمراض الجسد، هكذا الأقوال الإلهيّة الملهمَة من الروح القدس تُعطى أيضاً لشفاء النفس والروح. تختلف طبيعة العلوم الواحدة عن الأخرى، فمثلاً تعليم كتب الأنبياء شيء، وتعليم الكتب التاريخيّة شيء آخر. ما توجبه لنا الشريعة شيء، وما يعظ به سفر الأمثال شيء آخر...

أمّا كتاب المزامير، فقد تميّز عن غيره من الكتب الإلهيّة بما جمعه من فوائد مأخوذة من كلّ كتاب. فهو الذي ينبئنا بالمستقبلات، ويذكّرنا بالتاريخ، ويحدِّد لنا شرائع الحياة، ويرشدنا إلى ما يجب فعله.

بكلمة واحدة، هو بمثابة مستودع المؤونة الذي يقع تحت تصرّف الجميع، والذي رُتِّبت فيه التعاليم الصالحة والمفيدة بحسب تقبّل كلّ واحد واستعداده للعمل بها وتطبيقها. فهو الذي يعتني بجراح النفس القديمة، كما أنّه يهب، أيضاً، الشفاء للجديدة منها. إنّه يقوّي مَن هو مريض، ويعضد ويؤازر مَن هو سليم. وبشكل عامّ، هو قادر أن يسيطر على كلّ الأهواء الحالّة في النفس مهما كانت أنواعها. بالإضافة إلى ذلك، فهو يحكّم النفس ويبهجها.

المزامير هي ملجأنا **ضدّ الشياطين** لأنّها ترعبها، وتدعو الملائكة لمؤازرتنا وحمايتنا. هي سلاحنا ضدّ المخاوف الليليّة،

القديس باسيليوس الكبير

والراحة للمتعَبين من ثقل النهار وأعماله.

تحرس المزامير الأطفال، وتزيّن الشباب وتعزّي الشيوخ، وهي الحلّيّ الأكثر لياقة لتتبرّج بها النساء.

تعمّر المزامير الصحاري، وتجعلها آهلة بالسكّان. أنّها تحكّم الجماعات، وتبني المبتدئين وتنّميهم، وتشجّع المتقدّمين في الحياة الروحيّة، وتؤازر الكاملين منهم.

كتاب المزامير هو صوت الكنيسة، فهو الذي يُبهج الأعياد، ويليّن النفس عندما يجلب لها الدموع المفرِّحة، ويحوّل القلوب الحجريّة إلى قلوب لحميّة.

ترنيم المزامير هو عمل الملائكة، وطريقة حياة سماويّة، وبخّور روحيّ. لماذا لا تفقه، يا أيّها الإنسان، مراحم السيّد لنا، ولماذا لا تتعلّم وتستفيد؟!! ما أحكم تدابير السيّد!! فقد جمع فيه ما هو مفيد لنا، محرِّكاً الروح عن طريق الترتيل والترنيم. ألا ترى أنّه يحوي العدالة كلّها، وبهاء الفطنة وكمال الحكمة؟!! أليس هو الذي يحدِّد لنا طريقة التوبة ومقياس الصبر؟ ألا يحتوي على كلّ الخيرات، ويعرضها لنا من أجل خلاص النفس؟ فيه كمال اللاّهوت، نبوءة مجيء السيّد بالجسد، عذاب الدينونة، رجاء القيامة، الخوف من القصاص الأبديّ، الوعود بالمجد الآتي. إنّه كشف للأسرار المحفوظة لنا، والمخبّأة فيه كمخزن المؤونة المفتوح للجميع .

المرأة بانية المجتمع - راهبات دير مار يعقوب دده

يقول مثل قديم: «يستطيع الرجل أن يبني بيتاً من حجر، ولكنّ الأمر يحتاج إلى امرأة تمنح وليدها بيتاً دافئاً بحسن تربيتها». وإن كان هذا الصوت مدويّاً من أزمنة سحيقة فإنّه يتوافق وشهادة كبار المربّين وعلماء النفس والمجتمع.

تؤكّد الاكتشافات العصريّة بأنّ دور الأمّ لا بديل عنه وبخاصّة في السنين الخمس الأولى من عمر الإنسان إذ هي المرحلة التي تصوغ حياته إمّا سلباً أو إيجاباً.

في مهد العائلة يتعرّف الطفل إلى الحياة من خلال وجه أمّه المشرق والممتلئ بالسلام والابتسام الهادئ. فالجوّ العائليّ هو المنبت الأساس حيث تنمو بذار الأمان والثقة والإيمان النموذجيّ بكلّ ما هو جميل وعظيم، بالإضافة أيضاً إلى بذار المحبّة والاحترام لكلّ كائن بشريّ. لكنّه قد يكون أيضاً المشتل الخصب لبذار الكراهية واللاّمبالاة والنقمة العارمة. شئنا أم أبيْنا، تبقى المرأة المربّي الأوّل والأساس للطفل. فهي التي تصقل طباعه، وتشكّل شخصيّته مهيّئة بذلك مجتمع المستقبل. فمثلاً إذا تلقّى الطفل ذو السنتين أو الخمس سنوات من أمّه تعليماً بأن يضع كلّ شيء في مكانه بعد الانتهاء من استعماله، فعندئذ ينغرس النظام والترتيب في نفسه عميقاً، فيفيد منهما في حياته كلّها. وعندها يظهر هذا التعليم الذي حسبناه بسيطاً ، أمراً جوهريّاً وحيويّاً. وأنّى لشابٍّ أن يعيش في جوٍّ من الوحدة والمحبّة في الأسرة التي سيكوّنها ما لم يكن قد اختبر هذا الوحدة والمحبّة، وهو طفل، في منزل تغشاه المحبّة المتفانية والمتبادلة من خلال تجهيز الطعام، مثلاً، لإخوته أو لأمّه التي تعمل خارجاً؟

ومتى تعلّم من كلام أمّه ومثالها كيف يحترم كلّ إنسان كائناً من يكون، أشيخاً أم عاجزاً أم مزدراً أم محتقَراً أم غير معتبر، فكيف سيتصرّف خلاف ذلك في حياته المستقبلة؟ وعندما يتلقّى دروساً في حمل المسؤوليّة، ويبادر الآخرين بتقدماته الماديّة والمعنويّة، ويتحمّل مغبّة كلّ عمل يقوم به، ألا يجسّد كلّ هذا في ما بعد عبر تسلسل أيّامه ؟ كم من إنسان، وأعتبره أنا عظيماً، قال بتأثّر: «إنّ أمّي، الدائم ذكرها، لم تكن تعرف الكثير، ولكنّها غرست في قلبي محبّة اللّه والقريب والحقيقة». وهكذا نصل إلى حقيقة لا مفرّ منها أنّ الأمّ هي نبع الحكمة والتعليم الذي يرتوي منه كلّ إنسان في بداياته ليصير إلى كمال الحكمة والتعليم في مستقبل حياته.

إنّ المجتمع هو عبارة عن جماعات الأفراد التي تكون قد تشكّلت في محترف العائلة، لذا «فمتى تهذّب كلّ فرد في بيته، يتهذّب المجتمع برمّته» حسب تعبير أحد الأمثال الفرنسيّة. من هنا نستنتج أنّ الأمّ المربّية الصالحة لابنها هي مربّية صالحة للمجتمع ككلٍّ في آن.

ولكن، ولكي تنشئ الأمّ أولادها حسناً وجب أن تكون مع أولادها. فإنّ غياب الأمّ المستمرّ عن منزلها، إن كان بسبب العمل أو

لخدمات اجتماعيّة، يشكّل خطراً لا يستهان به، من هنا نستطيع القول بأنّه ليس صدفة أنّ الهيبيّة والفوضويّة وتعاطي المخدّرات ظهرت كلّها، وعلى نطاق واسع، في عصر غابت فيه الأمّهات عن بيوتهنّ وأطفالهنّ، هذا الغياب والابتعاد يخلق فراغاً في نفس الطفل لا يلبث أن يظهر سريعاً.

أجمع المحلّلون النفسيّون، في الأربعين سنة الأخيرة، بأنّ نموّ الطفل يخضع لبعض الفروض والأنظمة التي تسنّها الأمّ على طفلها، والتي تخلق رابطة قويّة وضروريّة بينهما. إنّ غياب المحبّة أو فقدان الأمّ المفاجئ، وبخاصّة في السنوات الأولى للطفل، يُولّد عاقبة وخيمة وَمُرَّة للطفل إذ يخلق له شعوراً بعدم الأمان، وبالتالي بالاحتقار والازدراء في أيّام الصبا والشباب. كلّ الأطفال الذين هم تحت سنّ السبع سنوات هم رقيقو المشاعر بسبب حرمانهم من الرعاية الأموميّة كما يؤكّد معظم المحلّلون النفسيّون. ولقد كتب طفل في العاشرة من عمره قائلاً: «أمّي هي والدة ممتازة، ولكنّي أفتقدها كثيراً، فأنا أودّ لو تبقى إلى جانبي إذ غالباً ما ترافق أبي في أسفاره، لأنّ أبي يعمل قبطان سفينة». وكتب طفل آخر في التاسعة من العمر: «أودّ أن تهتمّ أمّي بي أكثر من ذلك. أنا أعلم بأنّ لديها أعمالاً كثيرة يجب أن تتمّمها، ولكنّي أشتاق أن أراها قربي، أن تشاركني اللعب ولو قليلاً». وكتبت شابّة جامعيّة تقول: «تمرّ العلاقات الأسريّة في العائلة بأزمة خطيرة لدرجة أنّ الأهل ما عادوا يعرفون أولادهم كما ينبغي، لأنّ الأمّ العصريّة تترك ولدها في دور الحضانة بسبب عملها في الخارج. وعندما تعود إلى البيت تجلس لوقت قصير مع ابنها، ثمّ تتركه لتلجأ إلى الأعمال المنزليّة التي كثيراً ما تكون متراكمة. وهكذا يفتقد الولد إلى الحديث مع أمّه أو إلى الخروج معها في نزهة ولو كانت قصيرة. لقد فقد الأولاد الاتّصال مع أمّهاتهم، ولذلك في غالب الأحيان يحسّون بالنفور منهنّ، وبحاجتهم لمن يتحدّثون معه، فيلجأون إلى أقرب صديق لهم. من الغريب أن تجد أمّي، مثلاً، ساعات طوالاً تقضيها في المطبخ لتجهيز طبق من الطعام فيما لا تجد ساعة من الوقت لتجلس معي، وتعرف كيف أمضيت يومي خارج المنزل. فأنا يجب أن أحمل همومي ومشاكلي بمفردي، وأحلّها بما يتوافق ومنطقي الذي كثيراً

ما يكون خاطئاً، ولا أحسّ بخطئه إلاّ بعد فوات الأوان. لم ألاحظ يوماً أن أمّي يهمّها أمري ولا وضعي النفسيّ. لم أشعر بأنّها تشاركني ما يؤلمني ويؤرقني، ثمّ تعاتبني على صداقاتي "المنحرفة". وأقرّ بكلّ صراحة بأنّها إن غابت عنّي، فإنّ ذلك قلّما يعنيني، ولا أحسّ بأنّي أشتاق إليها. أمّا في يوم عيدها، فالمعايدة تأتي كروتين وواجب، ولكنّي لا أستطيع أن أنكر بأنّ كلّ ما تعمله لي يأتي بغاية الإتقان: فملابسي دوماً مرتّبة، وطعامي دوماً جاهز... ولكنّي ما زلت في نظرها تلك الطفلة ذات الستّ سنوات».

واتّصلت جدّة بحفيدها تسأله عن سلامة وصول أبيه من سفر غاب فيه عن المنزل مدّة طويلة، فأجاب الولد: «آه، يا جدّتي، تسألين عن سلامة أبي وعن صحّة أمّي، وأنا ألا يوجد من يسأل عنّي، ألا يوجد من يهتمّ بي؟!!».

وإليكم نتيجة أبحاث جرت مع شباب تتراوح أعمارهم ما بين ١٨-٢٤ في كلّ من اليابان وبريطانيا وألمانيا وفرنسا وسويسرا. لقد طُرح عليهم عدّة أسئلة عن وضعهم العائليّ، فأجاب أكثر من ٨٠٪ في اليابان وسويسرا، وأكثر من ٧٠٪ في ألمانيا، وأكثر من ٦٠٪ في فرنسا مؤكّدين ضرورة العلاقة الإيجابيّة والحميمة بين أفراد العائلة.

وبحث آخر جرى في ألمانيا أكّد بأنّ أوّل ما يحلم به الشباب الألمان هو تأسيس عائلة كثيرة الأولاد، وقد أكّد بعضهم قائلين: «سوف نتزوّج ونؤسّس عائلة ناجحة على جميع الأصعدة العائليّة والاجتماعيّة».

وفي العام ١٩٨٠ سئل شباب تتراوح أعمارهم ما بين ١٨-٢٤ في أوستراليا السؤال نفسه، فأجابوا بأنّ هدفهم الأوّل أن يعيشوا في عائلة منسجمة.

وفي أميركا في العام نفسه أجاب أكثر من ٦٠٪ بأنّ الزواج لا فائدة منه ولا معنى له.

هذا ما يحدث في عصرنا، في عصر نالت المرأة فيه حقوقها كما يقال، في عصر التساوي بين الجنسيّن. ومن المؤكّد أنّ حركة النهضة النسائيّة العالميّة ساعدت كثيراً في هذا الشأن أي في أن تتذوّق المرأة طعم التقدّم العلميّ، وأن تتحرّك لتساوي الرجل في كلّ ميادين الحياة، وأن تكون لها القدرة على العمل في أصعب قطاعات الحياة أحياناً. ولكنّها في المقابل قد أهملت أعمق ما في الحياة والذي يشكّل كنز المجتمع وغناه ألا وهو دورها كأمّ وزوجة.

لقد دلّت الإحصاءات العديدة التي جرت حديثاً بأنّ كلّ ثلاث زيجات توجد زيجة فاشلة تؤدّي إلى الانفصال.

لقد ضُرب الزواج في الصميم، لأنّه، في نظر الكثيرات، يجعل المرأة عبدة للرجل، لذا يتطلّعن إلى «المساواة» المنشودة، وقد نفرن من تسمية «سيّدة بيت» باعتبارها إنقاصاً لشأنهنّ. بيد أنّه في غياب المرأة يُحرم الطفل من المربّي الطبيعيّ، وبوجهه يُحرَم المجتمع من المربّي الحقيقيّ.

وما الحلّ إذاً؟ أنطلب من المرأة أن تعود إلى العصور القديمة، وتلزم منزلها بعد أن سارت أشواطاً في عملها وإنجازاتها الخارجيّة على جميع الأصعدة؟ أتترك دراساتها التي تفيد مجتمعها ووطنها؟ أتترك مهنتها التي برعت فيها؟ تُرى هل سلكت منذ البدء طريقاً خاطئاً بنزلها إلى معترك الوظيفة والمهنة؟ هل هي السبب في انهيار عائلتها، أو على الأقلّ في المشاكل العائليّة القائمة؟ هل هي السبب في جنوح أولادها، أو على الأقل في تربيتهم تربية منحلّة ؟

من الصعب أن نلاقي أجوبة على هذه التساؤلات، ومن الصعب كذلك أن نقرّر ما إذا كان من الواجب أن «تكون المرأة خارج المنزل» أم أن «يكون البيت سجناً لمواهب المرأة وخنقاً لقدراتها» وأن «ترى المرأة ذاتها داخل المهنة». افتراضات وافتراضات كثيرة مماثلة تقف دون جواب إذ إنّ للمرأة تبريرها الإيجابيّ في كثير من الحالات وأهمّها الاقتصاديّة. ولكنّنا لا نستطيع تجاهل أنّ الخروج إلى المهنة هو أحد المزالق التي أدّت إلى مخاطر رهيبة، وأوجدت تصدّعاً ليس فقط في المجتمع الضيق (المنزل) بل وفي المجتمع الواسع. فيجب على كلّ من يجاهر وينادي «بحريّة المرأة» أو«بمساواة المرأة بالرجل» أن يأخذ بعين الاعتبار بأنّ مقام المرأة ودورها الأساس أوّلاً وأخيراً هو كزوجة وأمّ، فمنها يستلهم الرجل والأولاد على السواء الاحترام والمحبّة وكلّ صلاح.

امرأة مثقّفة ؟ نعم، ولكنّها على استعداد للتضحية بهذه الثقافة، على الأقلّ وقتيّاً، من أجل انسجام أسرتها وسعادتها وبخاصة اطمئنان أطفالها وتربيتهم السويّة. فللمرأة الحقّ بأن تفاخر كونها امرأة وأمّ. **حرّيتها تذوب في تربية أبنائها يداً بيد مع زوجها لكي تقدّم للمجتمع أفراداً أصحاء نفساً وروحاً وجسداً. نعم إنّ المرأة، من هذا المنظار، هي بانية المجتمع ومدامكه المتين .**

العهد القديم في الكتاب المقدّس (٥٧)

الفصل السادس:

المملكة المتحدة ـ (١٠٣٠-٩٣١ ق.م.)

سقوط شاول على جبل جلبوع:

تقدم الفلسطينيون بجيوشهم شمالاً لمحاربة الإسرائيليين واجتمعوا في أفيق وساروا شمالاً متتبعين طريق البحر واستداروا شرقاً إلى وادي يزراعيل وفي رأس الوادي عند جبل الموريا ، أقاموا معسكرهم في شونم، وجمع شاول قواته على جبل جلبوع في الجنوب على الشمال الغربي من حافة الجبل، واضطرب شاول حينما رأى جيش أعدائه، لكنه لا يمكن أن ينال إجابة من الرب ليدخل الحرب ، وفي يأس قام وسافر شمالاً إلى عين دور ليستشير **عرّافة** تتحدث إلى روح صموئيل، إلا أن صموئيل في موته كما كان في حياته لم يأت له بعزاء أو قول يقويه في موقفه، وهو الآن يزيد حماقته، وقد فعل أمراً يخالف الشريعة التي نَهَت صراحة عن إستشارة العرّافين (لا١٩:٣١ ، تث١٨:١٠) ، ونلاحظ أن **العرّافة** لم يكن لها سلطان أن تستدعي صموئيل، لكن اللّه هو الذي أرسل عبده صموئيل، لذلك خافت المرأة من صموئيل وصرخت حينما رأته ، لقد رأى اللّه أن يتعامل مع شاول من ذات الطريق الذي يريده ، كما تعامل مع بلعام عن طريق الحمار، إنّ اللّه يحوّل أي شيء لإتمام مقاصده.

لاشكّ أن الإسرائيليين قد اكتسبوا بعض المهارات الحربية في المعارك السابقة ، لكن في هذه المرة لعبت العربات الحديديّة وأسلحة الفلسطينيين المتفوقة دوراً هائلاً في تلك الأرض الوعرة في جلبوع، مما أعطاهم تفوّقاً خاصاً لاسيما في الأودية الضحلة وأراضي الصخور والأشواك التي في المرتفعات، والتي أسماها داود حقول المصائب، وكانت معونة اللّه قد تخلّت عن شاول ودارت معركة شرسة ، وكانت المطاردة لا هوادة فيها ، إنتهت بكارثة سقوط شاول وأبنائه الثلاثة على جبل جلبوع ، وعلى قدر ما ظهرت بداية مُلك شاول زاهرة ناجحة ، لكنها انتهت بنهاية مروّعة، وغربت في جلبوع تلك الشمس التي أشرقت في يابيش جلعاد ، ، وعرفاناً بالجميل من أهل يابيش جلعاد لشاول الذي في بداية حكمه كان قد خلصهم من الجبعونيين، ساروا ليلاً وأنزلوا جثث شاول وبنيه المعلّقة على معبد العشتاروت ودفنوها كإكرام الملوك في يابيش (١صم ٣١: ١١ – ١٣)، وأرسل داود إلى أهل يابيش طالباً لهم البركة من اللّه عن عملهم الذي أتمّوه في شجاعة نادرة.

خصائص حكم شاول:

كان شاول ملكاً جاداً يقدّر عبء المسؤوليّة، وظلّ إلى آخر حياته يحارب عن شعبه (١صم١٠:٢٢) ، وليس ثمة شك أنه كان عبقرية حربيّة وقائداً عسكرياً متميّزاً، قام بالكثير من الغزوات الناجحة ، وقد بدأ مُلكه في وقت كانت تواجه فيه الأمّة خطر التَّفَتُّت والقضاء عليها، فسار بها إلى التَماسك والقوّة، وأنشأ لها جيشاً نظامياً قوياً ، وأعطاها مركزاً حربياً له شأن بين جيرانها ، وكان قائداً يمتاز بالجرأة والشجاعة، ولم ترجفه حالة شعبه الضعيف ، فواجه أعداء متفوقين في العدد والسلاح ، ولم يكن معه سوى قليل من الرجال هَزَمَ بهم العمونيين والفلسطينيين والعمالقة (١صم١٤:٤٧) ، لكنه كان يتأثّر بالمحيطين به (١صم٢٤:٩)، وبنى لنفسه قصراً في جبعة مدينته والذي كشف عنه **سنة ١٩٢٢ البرايت**، ومن هنا كان شاول على هوى الشعب كقائد وملك.

ولكن شاول كان يشكّ في كل من حوله (١صم٢٢:٧)، وسقط في حماقات متعدّدة، فقد اثار مديح النساء لداود حفيظة شاول، فامتلأت نفسه بالحقد ، فتشتت جهوده بين الحرب مع الفلسطينيين ومطاردة داود ، وبعد أن أعلن صفحه عن داود، سرعان ما نقض عهده (١صم٢٤:١٦ ؛ ٢٦:٢١) ، ومن أشرّ حماقاته إنتقامه من الكهنة وغدره بهم (١صم٢٢:١٧)، وإن كان السِّفر يحدّد لنا الأسباب المباشرة التي من أجلها إنتهت أُسرته الملكيّة فيما يلي: «فمات شاول بخيانته التي بها خان الرب من أجل كلام الرب الذي لم يحفظه، وأيضاً لأجل طلبه إلى الجان للسؤال ، ولم يسأل من الرب فأماته وحوّل المملكة إلى داود بن يسَّى» (١أخبار ١٠:١٣ – ١٤). لأن شاول بدأ بالعصيان وصار عنيداً متمرداً على اللّه ، لذلك لم يعُد صالحاً لتنفيذ مقاصد اللّه، فأُزيل من المُلك ليفسح الطريق لرجل آخر أصلَحَ منه يكون مثلاً أعلى ويقود الأمّة، ذاك هو داود الذي قلبهً مثل قلب اللّه. (١صم١٣:١٤؛ أع١٣:٢٢).

فعمر الإنسان أيامٌ قلائل

نَسيرُ إلى الآجالِ في كلِّ ساعةٍ
فأيّامُنا تُطْوَى وهُنَّ مراحِلُ

ولـمْ أَرَ مثـلَ الموتِ حتى كـأنَّهُ
إذا ما تَخَطَّتْهُ الأمانيُّ باطِلُ

وما أقبحَ التفريطَ في زمنِ الصِّبا
فكيفَ به والشَّيبُ في الرأسِ شاعِلُ

تَرَحَّـلْ مِنَ الدُّنـيا بِزادٍ مِنَ التُّقَى
فـعُمْـرُكَ أيَّـامٌ تُعَدُّ قـلائـلُ

إنّ والدة الإله القديسة.
التي ارتضى الآب الفائق الألوهة
بأن يسكن فيها كما في بيتٍ عطِرٍ.
لم يُفسِد رحمها ولم تتمَخَّض.
لأنها ولدت عمّانوئيل الإله والإنسان.

إنّ حشاكِ النقيّة يا والدة الإله
قد ظهرت مكاناً يسع اللاهوت
الغير المطاق.
الذي طغمات الملائكة لا تستطيع
أن تتفرّس فيهِ بدون خوفٍ ورعدة .